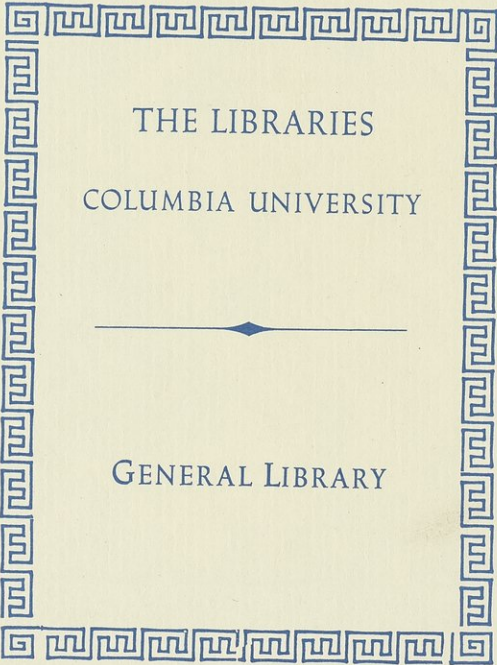


76-9117-3



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

76-961753

فما صفة الزهاد
سريع

لأم أبيها

فاضل الحسيني السيد في

الحمد لله رب العالمين

سجده

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمة الزهراء عليها السلام
أم ربها

الكتاب الفائز بالجائزة المعنوية الأولى في
المباراة الكتابية عن الصديقة الزهراء عليها السلام

فاصل الحسيني الميمني

طبعة الاداب في النجف الاشرف

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

BP
80
.F 36
M53

NOV

1971

NOV

5 1971

PL 480

« أم أيها »

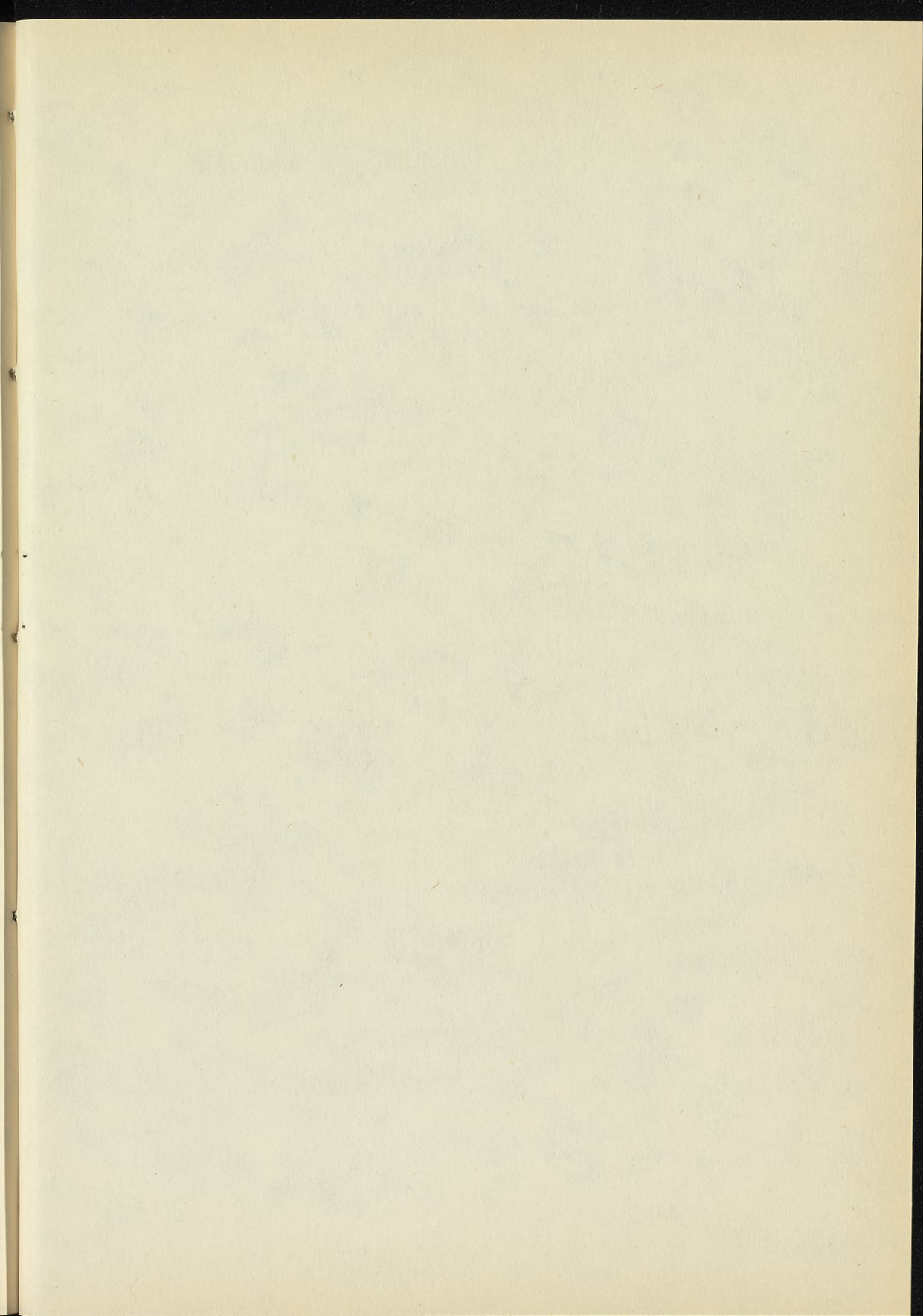
قلادة قلد بها رسول الله (ص)

جيد بضعته المفضلة ! !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللافتة

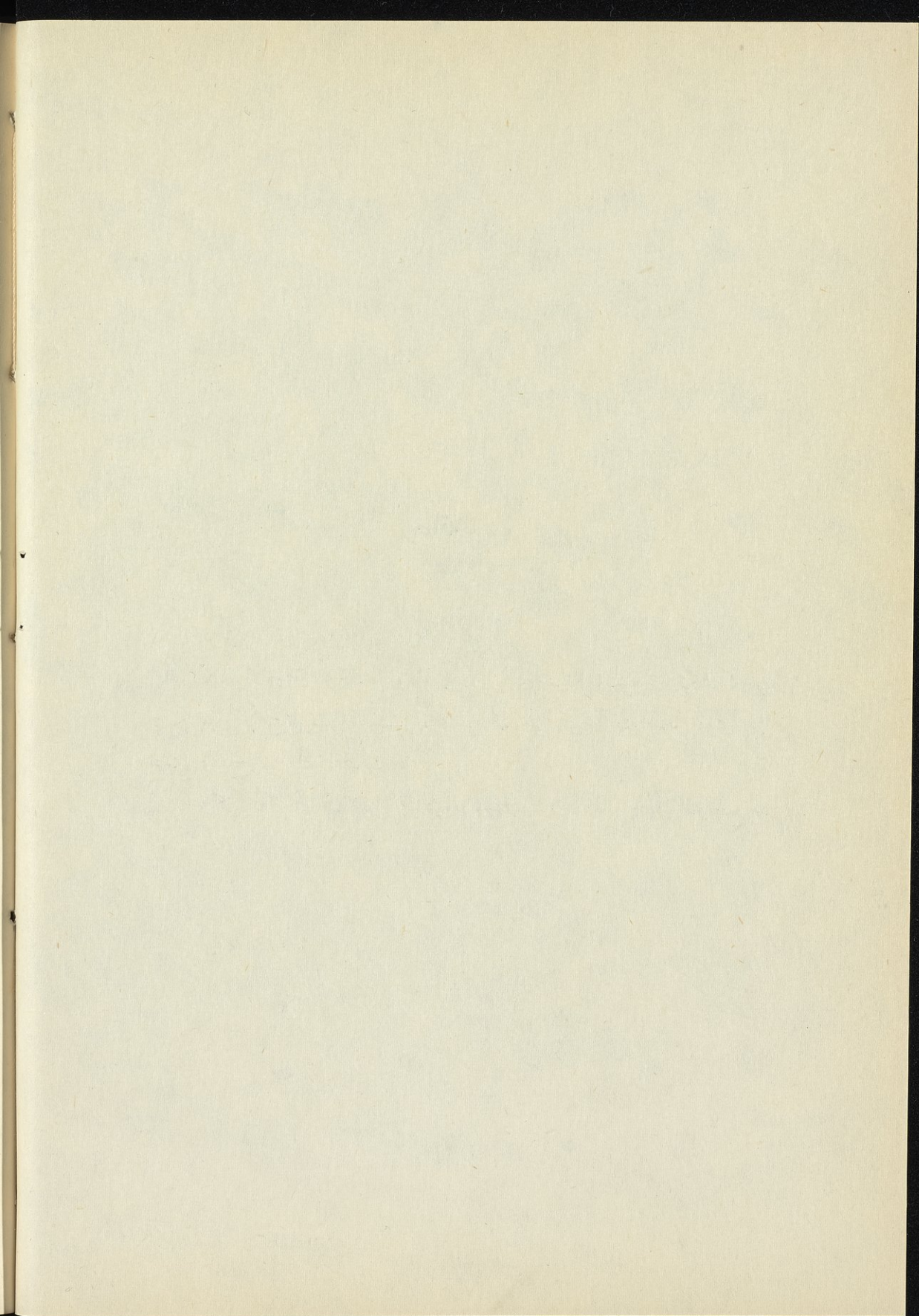
الى : كل أنثى تنشأ قدوة تقتدي بها في حياتها :
الى : كل امرأة تبحث عن الطريق الأمثل في الحياة .
الى : كل من يريد معرفة المرأة المثلى في تاريخ البشرية . . .
أهدي هذا الكتاب !



بطاقة ولاء

عزيزي القارىء :

هذه الأوراق (بطاقة ولاء) بين يدي سيدة النساء : تكشف عن
حب عميق لأهل البيت . بنيت عليه من ضلوعي كوخاً مواضعاً يقوى على
تحدي الرياح من أن تعصف به :
وكلي أمل في أن تقبل الزهراء عليها السلام هذا الجهد المتواضع من
أحد أجدادها .



مفتاح الحديث

أهداب النور :

- ١ - مولد للنور .
- ٢ - للكوثر .
- ٣ - لغة المعجزة .

نقطات خاطفة :

- ٤ - حوراء انسية .
- ٥ - بضعة النبي .
- ٦ - أمّ أبيها .

حجر الزاوية :

- ٧ - على عتبة للزواج .
- ٨ - في بيت الزوج .
- ٩ - المرأة الكاملة .
- ١٠ - ثمار من دوحه الرسالة .
- ١١ - التربية للفاطمية .

بشائر :

- ١٢ - ويطعمون الطعام . : :
- ١٣ - أجر الرسالة :
- ١٤ - المباهلة :
- ١٥ - آية التطهير .
- ١٦ - بلاغتها :
- ١٧ - عصمتها :

وعى الموقف :

بين عهدين :

- ١٨ - وفاة النبي .
- ١٩ - عهد النبي .

في المعترك :

- ٢٠ - وراء علي الى الجامع .
- ٢١ - اضرام للنار :
- ٢٢ - فدك .
- ٢٣ - بيت الأحران :

إغفاءة :

- ٢٤ - الذصن للذاوي :
- ٢٥ - علي فراش الموت .
- ٢٦ - تشيع هاديء :

على العتبة

إحتراماً لإجلال بين يديك سيدتي ، يا بضعة النبي ! !
وطأطأة للرأس تجاه مقامك الشامخ ، يا أم الحسينين ! !
أي قلم يرقى اليك ليكتب عنك ؟ !
وأي ريشة تدق وتلطف حتى تستطيع أن تصوّرك كما أنت ؟ !
قالوا عنك : أنك وترّ في غمد :
وقالوا : أنك نداء الملايين .
وقالوا : أنك شهاب النبوة الثاقب .
وكنت أنا ممن قال : أنك أنثى في القمّة (١) .
لكن ذلك كله لا يتعدى أن يكون مرآة تعكس جزءاً ضئيلاً مما أنت
عليه ، أفلمت أنت بنت النبوة للبكر ؟ !
أم ألسنت ربيبة للوحي ؟ !
أجل !
أنحني مرة أخرى ثم ألتمس على لسان والدك للعظيم سمة منحها
إياك ، وقلادة قلّدتك بها فأراه - روعي فداه وفداك - يناديك بـ « أم أبيها »
إذن ، فأنت أمّ أهلك . . .
وطبيعي أن تكوني أمّاً له في رسالته ، لا في ولادته ! !
ولكن هل يقف القلم عند هذا الحد ؟ ! انه يحاول أن يضيف على
هذه الصورة بعض الرتوش ، ونعم ما يفعل عندما يفعل ذلك :

(١) هذه الأسماء هي بعض عناوين الكتب التي دخلت مضمار المسابقة .

وإزاء هذا الموقف بوجود موقف آخر يولي الرتوش وحدها اهتماماً بالغاً ، إنه يعطي النصيب الأكبر للأطوار دون الصورة ، والشكل دون المضمون ، ولكنني سوف لا أكون ممن يحبذ هذا الموقف : فله رجاله وله أنصاره ، ولست منهم .

ولئن كان سوق (الرتوش) رائجاً في عصرنا هذا ، فليس من المنطقي أن يسعى الانسان وراء كل ما هو جارٍ ورائجٌ في العصر من دون تمييز بين صحيحه وسقيمه ، وغثه وسمينه .

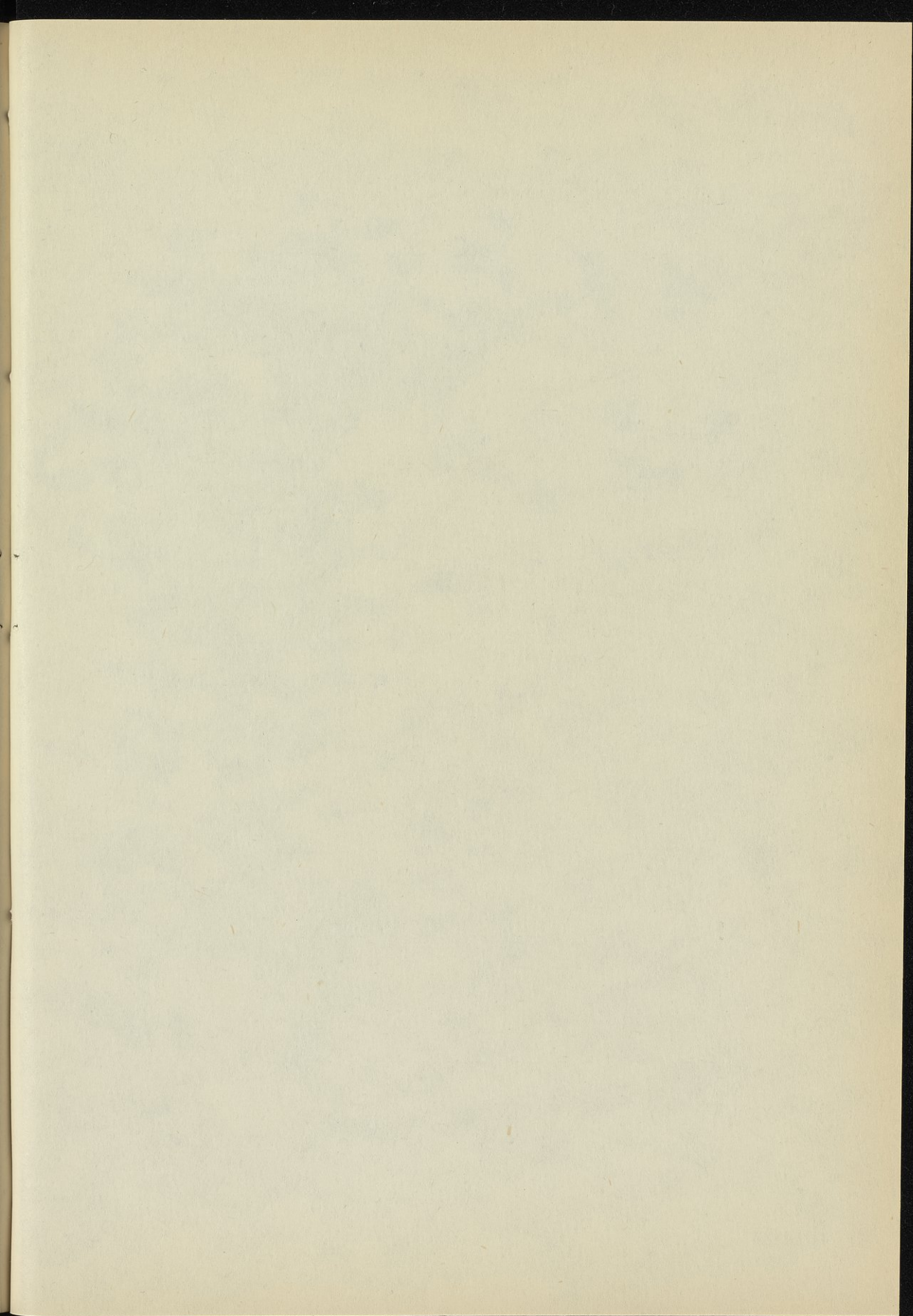
* * *

إذن لاكن ممن يحاولون التعبير عن مشاعرهم الصادقة تجاه الصديقة الزهراء عليها السلام دون التعميق في الرتوش . . .
وهكذا عشت التجربة في فترة لا تتجاوز الأسابيع الثلاثة ، خرجت في نهايتها بهذه الأوراق التي أقل ما فيها أنها (بطاقة ولاء) .
في الليلة الأخيرة من أمد المباراة قدّمت هذا الكتاب إلى لجنة التحكيم ولم يدم الانتظار طويلاً حتى أعلنت النتائج .

* * *

وذات ليلة ربّت سيدي الوالد دام ظله الوارف على كتفي ، وقال بلهجة فيها الكثير من اللوعة والولاء :
هيه يا بني ، ألا تنوي نشر ما كتبتّه عن الصديقة الزهراء (ع) ؟ !
قلت : بلى !
قال : عليك بذلك .

ومرّت لحظات فهمت من لغة الصمت خلالها مدى عزم سيدي للوالد على هذا الأمر ، فامتثلت أمره ، وأخذت للأمر أهبطه ، وها أنا أقدم الكتاب الى قارئتي الكريم :

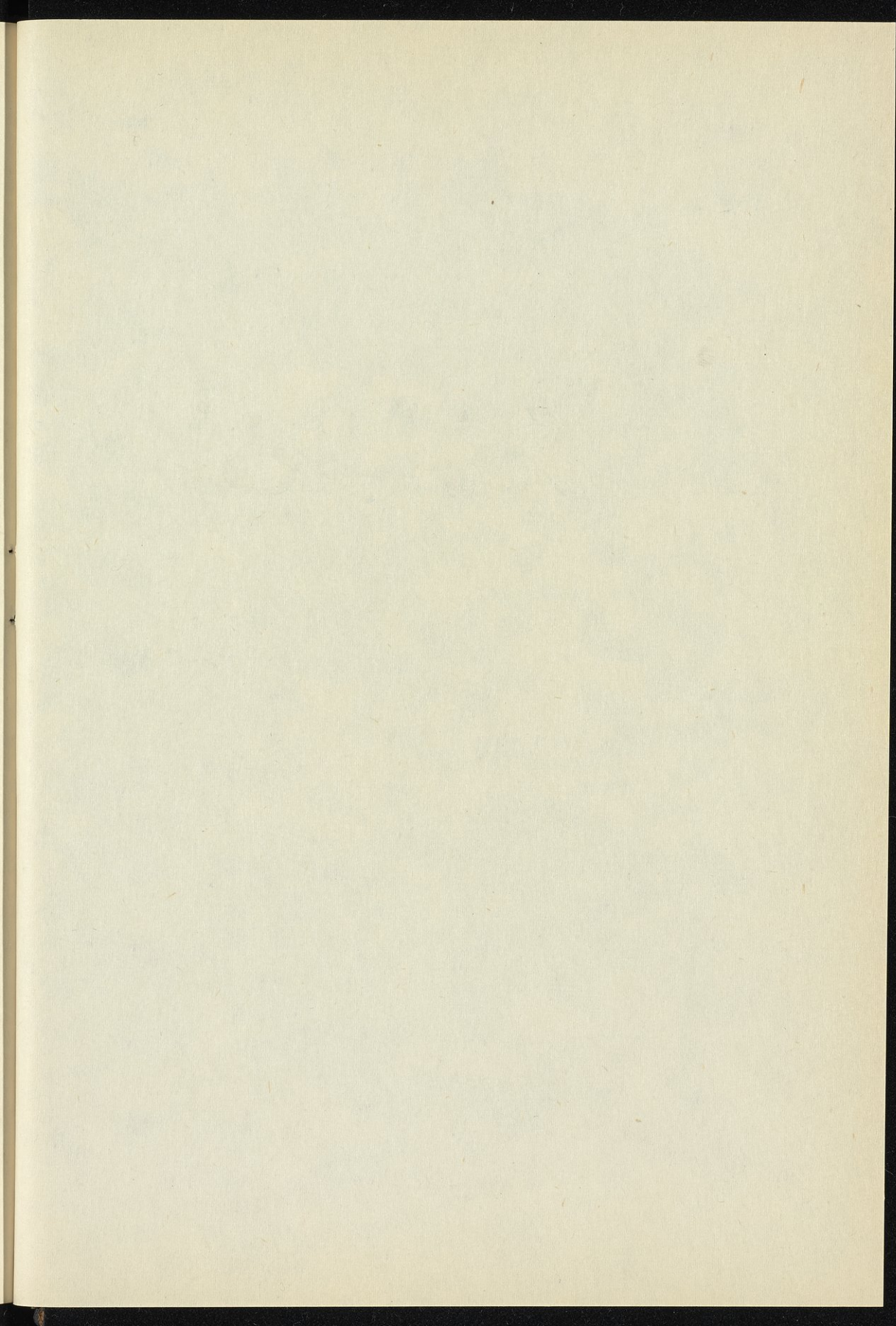


أهدى النور

١ - مولد النور .

٢ - الكونث :

٣ - لغة المعجزة .



مولد النور

« الله نور السماوات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ،
المصباح في زجاجة ، الزجاج كإنها كوكب دري" يوقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ، نور
على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس » والله
بكل شيء عليم » (١) :

مفهوم النور من أيسر المفاهيم وأوضحها على الإطلاق ، فلا تكاد
تجد أحداً يجهل معناه . . . ومع ذلك فإن البحث عن حقيقته في غاية
التعقيد !

لأنه قوام المعاني الجمالية كلها ، فمتى ما ذكر النور اقترن معه ذكر
الخير والجمال والحق والهداية والصلاح : وعلى عكس ذلك فإن الظلام
قوام المعاني الشريرة والفكر الهدامة والمتاهات والمفاسد :
وبقدر ما تكون عليه حصة الموجودات من النور الشامل تكون مرتبتها
ومنزلتها بين باقي الموجودات ، وهكذا تدرج من عالمها المادي الى عالم
المجردات حيث النور أكمل : : كل هذه الموجودات تستمد كياناتها
ووجودها ونورها من النور المطلق ، مصدر الأنوار ، وموجد المخلوقات
ونور السماوات والأرض : : الله جل جلاله :

* * *

أما في الأرض فيتمثل النور الالهي في بضعة من الآدميين ، شاء لهم

(١) سورة المؤمنون / ٣٥ .

الله أن يمتازوا عن جميع الخلق بذلك ، فهم مشاعل الخير والهداية على مرّ القرون والأجيال ، وقادة الأمم نحو السعادة والصلاح . : اختارهم الله حفظاً لسره ، وخزنة لعلمه ، وتراجمة لوحيه ، وأدلاء على صراطه فعصمهم من الزلل وآمنهم من الزيغ والضلال . : فكانوا نور الله في الأرض !

لقد ورد في الزيارة الجامعة : « خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محققين » وورد في زيارة الامام الحسين عليه السلام : « أشهد أنك كنت نوراً في الصلاب الشاخنة والأرحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من ملهومات ثيابها » وفي زيارة الامام موسى بن جعفر (ع) « السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض » :
وقال الشاعر :

هم للنور نور الله جل جلاله هم التين والزيتون والشفع والوتر
وتمثل نور الله أول ما تمثل في خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ص)
وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين (ع) : : : وانحدر للنور بعد ذلك من
صلب النبي صلى الله عليه وآله : : فكانت فاطمة عليها السلام :
ولعل قارئ الكرم يذهب به الوهم بعيداً فيراني أسبح في بحر الخيال
وأنسج من ذلك على هذا النول ، لكنه الحق الذي نطق به الرسول الأعظم
نفسه حيث قال .

« لما أُعرج بي الى السماء ، أخذ بيدي جبرائيل ، فأدخلني الجنة ،
فناولني من رطبها فأكلته ، فتحول ذلك نطفة في صليبي ، فلما هبطت
الى الأرض وقعت خديجة وحملت بفاطمة ، ففاطمة حوراء إنسية ، فكلمنا

اشتقتُ الى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة ، (١) :

* * *

أجل ! تفجر هذا النور المشرق في بيت محمد صلى الله عليه وآله صبيحة العشرين من شهر جمادى الثانية في السنة الخامسة من البعثة ، فلأجل قلب الرسول الأعظم بهجة وسروراً . وقد آثر الله الزهراء بما لم يؤثر به شقيقاتها الثلاث من قبل : (زينب ، ورقية ، وأم كلثوم) فكتب لها أن تكون - وحدها - للوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة ، والمنبت الطيب لدوحة الشرف من آل البيت :

ولأمر قد قُدِّر ، كان النبي صلى الله عليه وآله على علمٍ من أنه سوف لن يعقب الا من فاطمه ، فستكون هي التيار الذي يحمل نوره عبر أسلاك الزمن ، ولتضاء البشرية بعد ذلك من هذا النور الفياض . . . ولذلك فقد كان يحبها حباً جماً ، حتى أنه كان يناديها أحياناً - (أم أبيها) ، وكان الأمر كما قُدِّر ، فقد توفيت كبرى بنات النبي (زينب) متأثرة بحادث وقع لها حين هاجرت من (مكة) الى (المدينة) بعد غزوة بدر ، وذلك أن أحد المشركين لقيها وهي في الطريق الى دار الهجرة - بعد أن فرّق الاسلام بينها وبين زوجها وابن خالتها أبي العاص بن الربيع - فنخسها في بطنها وكانت حاملاً فاسقط حملها .

أما (رقية) و (أم كلثوم) فقد ماتتا بعد أن تزوجها (عثمان ابن عفان) على التوالي ، وكانت وفاة رقية نتيجة قضية تاريخية يطول شرحها .

وهكذا كان مولد هذا النور مبعث خير ومسكينة في قلب النبي صلى الله

(١) أمالي الصدوق ، نقلاً عن السيد حسن الشيرازي : كلمة الرسول

الأعظم ص ٨١ .

عليه وآله ، وهذا مادعاه الى الاهتمام بشأنها أيما اهتمام : فهو القائل في حقها : « فاطمة بضعة مني يربني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها » (١) وهو الذي كان يمرّ على بيتها صباح كل يوم عند خروجه الى المسجد للصلاة ، ويأخذ بعصاة الباب قائلاً : « السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » (٢) .
 : : الى غير ذلك من فضائلها ومكانتها في نفس النبي صلى الله عليه وآله ، ذلك ما سنعرفه في الفصول القادمة .

(١) علي بن عبد الله السمهودي : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى

ج ١ / ٣٣١ .

(٢) بهذا اللفظ وألفاظ مشابهة ، راجع :

- صحيح البخاري : ٢٧٤ / ٥ .

- صحيح مسلم : ٢٦١ / ٤ .

- المستدرك على الصحيحين للحاكم : ١٥٤ / ٤ .

- ذخائر العقبى : ٢٩ .

- الصواعق المحرقة لابن حجر : ١٠٥ .

- مسند أحمد بن حنبل : ٣٢٨ / ٤ .

- الصحيح للجامع للترمذي : ٢١٩ / ٢ .

- مسند ابن ماجه : ٢١٦ / ١ .

الكوثر

« إنا أعطيناك للكوثر : فصل لربك وانحر : إن شأنك هو الأبر » (١)

لك الله يا محمد !!

المجتمع الذي تعيش فيه ، والذي أتيت لتقوض دعائم الجهل والفساد والفساد منه وتبني على أثر ذلك كياناً إنسانياً كاملاً .. لا يزال يحمل في طياته رواسب الجاهلية المتمثلة في احتقار الأثني واعتبارها مدعاة للذل والهوان حيث قال فيهم الله تعالى :

« وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتواري من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب » (٢)

المجتمع الذي جئت لتنقذه من غمرات الضلالة ، وتأخذ بيده الى شاطئ السعادة والأمن والرفاه لا يزال يعتبر الرجل الذي لم يعقب ذكراً أهر ، ويعتبره على ذلك ..

لك الله يا رسول الانسانية ! حين يراك العاص بن وائل خارجاً من المسجد ، فتلقين عند باب بني سهم وتحدثان .. : وأناس من صناديد قريش جاوس في المسجد ، وتنصرف لبعض شأنك ، فيدخل العاص ويسألونه : من الذي كنت تتحدث معه ؟ فيقول : ذلك الأبر !! (٣)

(١) سورة الكوثر : ١ - ٣ .

(٢) سورة النحل : ٥٩ .

(٣) الفضل بن الحسن الطبرسي : مجمع البيان ج ١٠ / ٥٤٩ : شركة دار

المعارف الاسلامية ، طهران ١٣٧٩ هـ :

أهكذا يجازى النبي على جهوده التي بذلها ليل نهار هداية أولئك
الغلاظ الشداد ؟

أليس الأجر بهم أن يعزوه بوفاة ولده عبد الله . . .
أهكذا تكون النكايه ؟ !

ولكن الله تعالى جل عن أن يترك النبي لوحده يتمجرع الغصص والآلام
فهاهو الأمين جبرئيل ينزل عليه بالوحي المبين ، مفرحاً قلبه ، مؤنساً وحشته . . .
« إنا أعطيناك الكوثر ، فصلّ لربك وانحر ، إن شائتك هو الابتر » .
وصدق الله العلي . . .

فقد أعطى رسوله الكوثر ، والكوثر على وزن (فَوَاعِل) من الكثير
يستعمل للمبالغة . أجل فقد أعطى الله رسوله صلى الله عليه وآله الكثير
الكثير :

الكثير الكثير من العلم :

الكثير الكثير من الجاه والمنزلة :

الكثير الكثير من الاتباع :

الكثير الكثير من الذرية . . . إنهم ذريته التي ستزدهر وتلبح من معين
فاطمة الزهراء ، وتفند وصف العاص - وأمثال العاص - إياه بالابتر .
إنهم وُلد فاطمة ، وإن شئت فقل : وُلد الرسول الأعظم صلى الله
عليه وآله .

وجاءت الآية الكريمة مفسدة العموم في الدعوى التي كان يتنم بها
أبناء الجاهلية :

بنونا بنو أبنائنا ، وبنائنا بنوهن أهناء الرجال الأبعاد
كلا ، فالذرية من فاطمة ، ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ،
وأصدق شاهد على ذلك تجده في سيرة النبي نفسه : فقد كان يبذل لأولاد

فاطمة ، وللحسن والحسين عليهما السلام بالخصوص ما كان لا يقصر عما يبذله
أي أب تجاه أولاده .

« وكان يدلل الطفل منهم ويستدرجه ، فرمما شوهده وهو يعلو بقدمه
الصغيرة حتى يبلغ بها صدر النبي ، والنبي يرقصه ويستأنسه ويداعب صغره
وقصره بكلمات حفظها الأبوان ، ولم يلبث أن حفظها المشرقان .
حُزَّقه . . حُزَّقه . . ترقه . . ترقه عين بقره .

ورمما شوهده النبي عليه الصلاة والسلام ساجداً وطفل من هؤلاء الأطفال
راكب على كتفيه ، فيتأني في صلاته ويطيل السجدة لكي لا يزحزحه عن
مركبه ، وفي إحدى هذه السجعات يقول عمر بن الخطاب للطفل السعيد :
المطية مطيتك (١) ! . .

بل رمما كان على المنبر ، فيقبل الحسن والحسين يمسيان ويتعثران ،
فيسبقه حنانه إليهما وينزل من المنبر ليحملهما وهو يقول : « صدق الله العظيم
إنما أموالكم وأولادكم فتنة » (٢)

وكان إذا سمع أحدهما يبكي نادى فاطمة وقال لها : « ما بكاء هذا
الطفل ؟ ألا تعلمين أن بكاءه يؤذيني !؟ » .

وقد جعل من عادته أن يببت عندهم حيناً بعد حين ، ويتولى خدمة
الاطفال بنفسه وأبواهم قاعدان . ففي إحدى هذه الليالي سمع الحسن يستسقي
فقام صلوات الله عليه الى قرية فجعل يعصرها في القدح ثم جعل يععبه ،
فتناول الحسين فنعه وبدأ بالحسن ، قالت فاطمة : كأنه أحب إليك ؟ قال
إنما استسقى أولاً .

(١) وفي رواية أخرى ، أنه قال للنبي (ص) للحسين يوماً وقد حملها على
كتفيه : نعم الراكبان أنتما ، ونعم الجمل جملكما .
(٢) ومن هنا يستدل على أنه كان يعتبرهما بمثابة أولاده .

وقد يلفهم جميعاً في برد واحد فيقول لهم : « أنا وأنتم يوم القيامة
في مكان واحد » :
: وكانت هذه الأهوية الكبيرة أعز عليهم جميعاً من أبوة الأب
الصغير « (١)

(١) عباس محمود العقاد : فاطمة الزهراء والفاطميون ص ٤٠ ، دار الكتاب
العربي ، بيروت - ١٩٦٧ :

لغة المعجزة

* في لغة الأرقام : $2 = 1 + 1$

وأما في لغة المعجزة فان : $1 + 1 = 1000000$

ولربما = اللانهاية

* في لغة المادة : الجماد لا يتكلم ولا يمشي ،

أما في لغة المعجزة : فان الحصى تتكلم في يد النبي محمد (ص) ،
والشجرة تنقلع من مكانها وتسير بأمر من رسول الله .

* في لغة المألوف : يستحيل على الميت أن يتكلم .

أما في لغة المعجزة فان : رأس الحسين عليه السلام يتلو القرآن في
حين فصل من جسده الطاهر ورفع على رمح طويل فيتلو قوله عز من
قائل : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا » . : ه .
فيسمعه السامع ويقول : رأسك أعجب يا أبا عبد الله !

* * *

تلك هي لغة المعجزة . : لغة لا كاللغات ، ولكنها تفوق كل اللغات

انها تحقق المستحيل ، وقد سموه في قاموس البشر (مستحيلا) ،

أما في قاموس الاجاز فهو (ممكن) واعتيادي جداً :

ولعل الاختلاف بين اللغتين ، واليهن الشاسع بين القاموسين هو للذي
جعل الكثير يشككون في المعاجز الالهية ، أو يعجزون عن تقديم تفسير
معقول لها على الأقل :

ولكني أقول : شأن هؤلاء شأن الطالب الذي سمع اصطلاحاً فيزباوياً

ولنفرضه (الزخم) فراح يبحث عن معناه في معجم المصطلحات التجارية،
وفي حرف الزاي بالذات فلم يجده . . . هاله ذلك ، وأخذ يقلب الأوراق
ويتصفح الحروف الأخرى ، لعله يجد ضالته في حرف الراء باعتبار أن
النقطة ربما جاءت طارئة : فخاب في مسعاه .

وأخيراً ، وبدافع من الغرور ، اعتقد بأن هذه الكلمة ليست ذات
معنى !

ونموذج آخر :

هو الذي سمع كلمة فارسية أو الكليزية فأخذ يبحث عنها في قاموس
اللغة العربية . . .
كلا !

لكل لغة قاموس ، ولكل علم مصطلحات ، ولكل شيء مقياس .
فكما أن من العبث أن نبحث عن معنى كلمة فارسية في قاموس عربي ،
ونفتش عن مصطلح قانوني في معجم فلسفي ، كذلك من العبث - بل
الخطأ - أن نبحث في الظواهر المادية المألوفة عن تفسير للمعجزة . . .

* * *

وبعد ، فما يمنع الجنين أن يتكلم في بطن أمه ؟ ! !
تلك هي الزهراء . . . كانت تؤنس أمها (خديجة) في أيام الحمل
وتحدثها بما يطيب خاطرها ويبعث الطمأنينة والسرور الى قلبها !
لقد هجرتها نسوة مكة ، فكن لا يدخلن الى بيتها ، ولا يسلمن عليها
ولا يتركن امرأة تدخل إليها ، هذا الاجراء كان جزء من المقاطعة التي
فرضتها قريش على النبي (ص) لإبان بعثته .
والمرأة تأنس بقربانها ، وترتاح لسماع حديث بنات جلدتها ، فاذا
ما تركنها وحدها أثر ذلك فيها إما تأثير . . . لقد استوحشت خديجة لهذه

المقاطعة ، وكان جزعها وغمها حذراً على زوجها العظيم الذي تربص العرب
به الدوائر :

وقد شاء الله أن لا يدع هذا القلب العامر بالإيمان يعيش حالة من
الضمور والتآكل الداخلي ، فانطق الجنين الذي في بطنها ، وجعلها تحدث
أمها حديث النساء في سمرهن ومجالسهن :

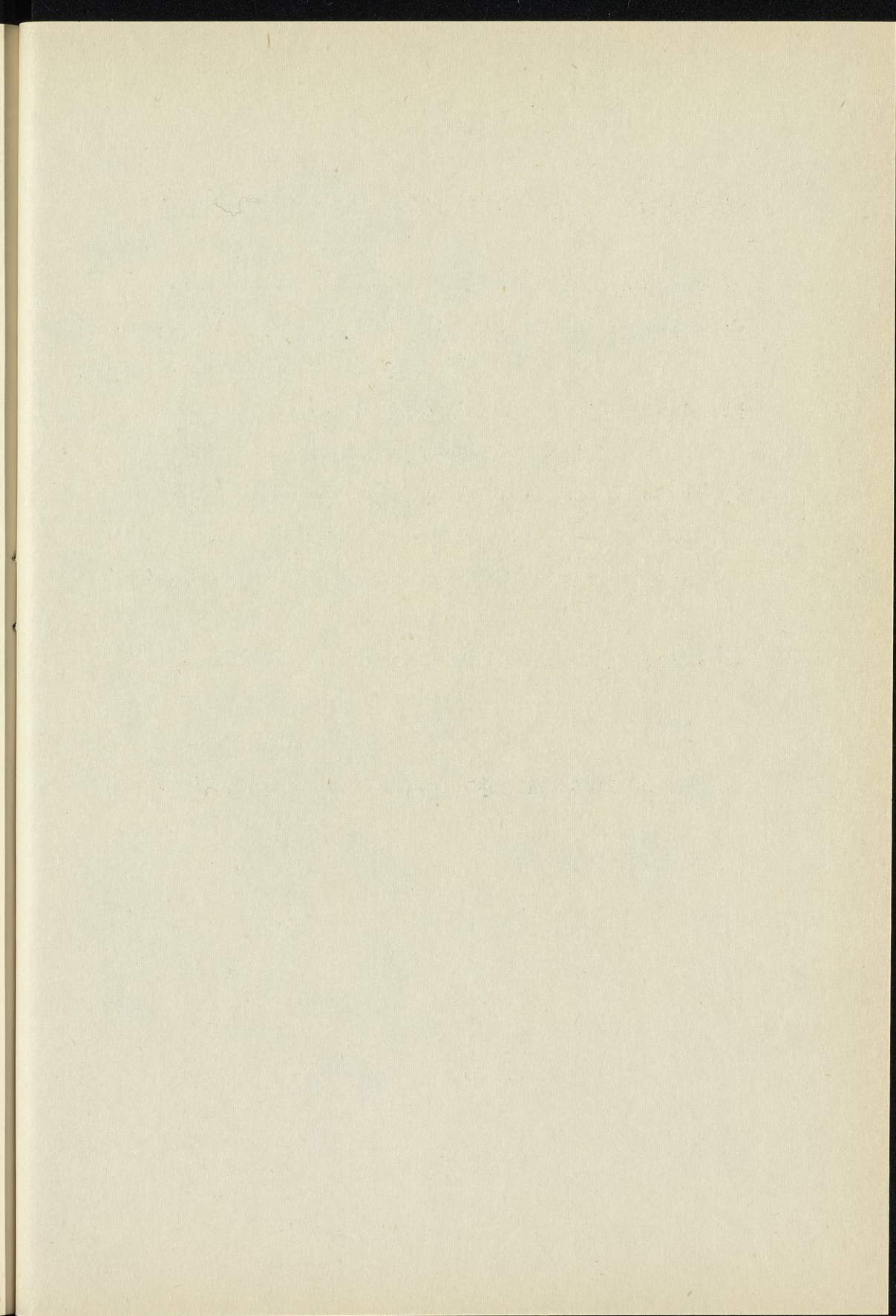
لقد دخل عليها النبي (ص) مرة وقال لها : يا خديجة من تحدثين ؟ !
قالت : الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني ! !
فقال : يا خديجة هذا جبرئيل يبشرني أنها أنثى ، وإنها للنسلة للطاهرة
الميمونة ، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة
ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه .

* * *

لقد ظلت تحدث أمها بما يبعث الطمأنينة والدعة الى قلبها طيلة أيام
الحمل ، وكانت تذهب عنها الروع :

فيالها من عظمة !

ويالها من لمعة مشرقة في قاموس الإعجاز تظل خالدة أبد الدهر .



لقطات خاطفة

- ١ - حوراء انسية .
- ٢ - بضعة النبي .
- ٣ - أمّ ايها .
- ٤ - قدّيسة .

تجدید الحیات

تجدید الحیات
مجله
شماره
سال

حوراء انسية

الانسان : روح ومادة :

في الروح إشراق : . وفي المادة ظلمة !

فاذا أخضعت اشراقه الروح قوام الانسان لسيطرتها ووجهتها الوجهة التي تريد كانت العظمة والشموخ والكمال :

أما اذا سيطرت ظلمة المادة على زمام الأمر ووجهت الانسان وطاقاته حيث تشاء كان التردّي والتسافل والانحطاط :

اشراقه الروح ، ونور الايمان ، وشعلة العقيدة : . مظاهر حية للتعالي الذي يطمح فيه الكثيرون ، ويرغبون السير في طريقه ، لكن هذا الطريق يضيق شيئاً فشيئاً حتى لا يستوعب - في قمته - إلا أناساً معدودين ، هم قادة الانسانية . والزهراء من أولئك المعدودين ، فقد كانت الى جانب إنسانيتها تحمل كل صفات الملائكة ، وسمات الحور العين :

كانت إنسانة : . وكانت حوراء :

ولقد قال أبوها العظيم صلى الله عليه وآله : « خلق الله نور فاطمة قبل أن يخلق الأرض والسماء :

فقال بعض للناس : يا بني الله فليست هي إنسية ؟ !

فقال : فاطمة حوراء إنسية « (١) .

ومن علائم الحور العين أنها لا تطمئ ، فقد قال تعالى : « لم

(١) محمد تقي سبهر : ناسخ التواريخ ج ٣ / ١٣ ، قم - ١٢٧٨ :

يطمئنهن النس قبلهم ولا جان « (١) ، وكذلك الزهراء فانها كانت طاهرة
من الحيض والنفاس ، وقد أجمع المسلمون على أنها لم تر حيضاً ولا نفاساً :
: . . وهذه ميزة فريدة امتازت بها على بنات حواء ، تذكر لها
بفخر واعتزاز :

(١) سورة الرحمن

بضعة النبي

حب الرجل لأطفاله أمر غريزي لا يحتاج الى برهان ، وهو نتاج العاطفة التي تذكو في نفس كل فرد ، فتدفعه لتحمل المشاق والمتاعب في سبيل أولاده ، والسهر عليهم ، والسعي لدفع كل ما يؤلمهم عنهم .
هذا الحب ليس على درجة واحدة عند الآباء ، بل إنه يختلف بحسب الأفراد ، فهناك العاطفة الضعيفة ، والحب المتزن ، والحب المفرط ، وللكلف : : ولكنه في جميع هذه الحالات يظل معبراً عن غريزة انسانية فعالة :

والحب المفرط يكون ناهياً من أحد أمرين :

أ - الجهل : وهذا يؤدي الى تجاوز الحدود المعقولة بالسماح للطفل في فعل ما يشاء وترك ما يشاء ، حتى لو خرج على الآداب والنواميس الاجتماعية السائدة . هذا النوع من الحب مذموم جداً : وهو في الحقيقة عداء في لباس الحب :

ب - للوعي لمدى اتساع مواهب الطفل ، وإدراك عمق أسس شخصيته في هذه الصورة يكون الإفراط في الحب أمانة على احترام تلك المواهب وتقدير تلك الشخصية ، وهو يساعد على ظهور كل القابليات المضمرة الى حيز الفعلية :

* * *

وبعد ، فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله بالذي يتصور فيه الجهل

أو للعبث . .

ان كل حركة من حركاته كانت منبعثة من حكمة ودراية !
وكل خطوة من خطته كانت مستندة الى وعي وادراك !
لم يكن بالذي تدفعه العاطفة الى اضفاء سمات على أشخاص ليسوا
جديرين بها ، أو مدح أفراد بعبارات تكون أقرب الى الخيال من الواقع :
انه الرسول الصادق الأمين ، وكفى فيه فخراً قوله عز من قائل :
« وانك لعلى خلق عظيم »

أحبّ الزهراء أيما حب ، وكلف بها أيما كلف : . وأعلن ذلك
على رؤوس الأشهاد ، وكانت هي جديرة بكل ذلك المدح والإطراء :
لقد قال عنها فيما قال :

« فاطمة بضعة مني ، فمن أغضبها فقد أغضبني » (١) :
وقال أيضاً :

« فاطمة بضعة مني ، يؤذيني من آذاها ويسُرني ما سرّها (٢) .
وفي رواية أخرى :

« إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها ، وينصبي من أنصبها » (٣)
وحق لها أن تنفرد بهذا اللقب ، فهي بضعة النبي حقاً ، أشبهته خلقاً
ومنطقاً ، وواكبت رسالته منذ البدء ، فوعت من ذلك أشياء وأشياء : .
ثم استمرت تسند الإمتداد الطبيعي للرسالة في ظل الإمامة ، تسنده بكل ما
أوتيت من حول وطول ،

وحق لها ان تكون سيدة نساء العالمين ، والبتول العذراء ، والظاهرة
الزكية دون غيرها من بنات النبي (ص) :

-
- (١) البخاري الجامع الصحيح ، نقلا عن القندوزي يناهبع المودة ص ١٧١ .
(٢) مسلم : الجامع الصحيح ، نقلا عن القندوزي : يناهبع المودة ص ١٧١ :
(٣) ابن حجر الهيتمي : الصواعق المحرقة ص ١٦٨ .

أم أيها

وبلغ من حب الرسول صلى الله عليه وآله ، لابنته فاطمة أنه كان
يكنّيها بـ (أم أيها) :

إنه السّيم يجعل من الطفل يحنّ إلى أمّتي تحنو عليه بدل أمه : فقد
توفيت (أمّنة بنت وهب) أم النبي (ص) وهو طفل صغير ، فتملق قلبه
حينذاك بـ (فاطمة بنت أسد) أم علي عليه السلام :
لقد كان يناديها : يا أمّاه !

وعندما توفيت حزن عليها حزناً شديداً وسمع يقول : ماتت أمي !
ورزق (ص) فاطمة ، وكلما رآها ذكر فاطمة بنت أسد ، وتسلى
بابنته عنها ، وقد كتّابها بـ (أم أيها) :

إنه الرسول العبقرى . : لا يهب الألقاب عبثاً ، ولا يمنح الكنى
تشهياً ، وإنما هي الحكمة تضع الشيء في موضعه :

وسيّان في هذا العمود من النور ، المتطاوّل برأسه الى عنان السماء ،
أن تكون (فاطمة) بنتاً لأبيها ، وأما له . : . :

وسيّان في دوحة الشرف أصل وفرع ، ما دام الجميع يهب من
إشعاعه وتدفعه ما يعجز الغير من اللحوق به :

قديسة

ولئن كانت « مريم » قديسة عند المسيحيين ،
فقديسة المسلمين « فاطمة » !

حجر الزاوية

- ١ - على عتمة الزواج .
- ٢ - في بيت الزوج .
- ٣ - المرأة الكاملة .
- ٤ - ثمار من دوحه للرسالة هـ
- ٥ - التعرّيبه للفاطمية هـ

مجموعه کتب خطی

۱ - تاریخ ایران

۲ - جغرافیه ایران

۳ - ادب و شعر ایران

۴ - فلسفه و عرفان ایران

۵ - هنر و معماری ایران

على عتبة الزواج

والآن أصبحت الزهراء (ع) شابة يافعة ، تتوفر فيها كل عناصر النجاح في خوض تجربة تكاد تواجهه جلّ بنات حواء . . .
فالجمال المفرط ، والخلق الفاضل ، والفصاحة التامة ، والبلاغة الراقية والشرف للعريض ، والنسب المشرق ، وغير ذلك من أغراض سياسية واجتماعية ، كانت مدعاة إقبال الكثيرين من الاشراف وغير الاشراف على مفاوضة النبي (ص) بشأن الزواج من ابنته الصديقة .

أما وقد كان من بين هؤلاء المتقدمين لطلب يد الزهراء عليها السلام من هو من الصحابة الذين ربما لا يشكّون في أن النبي (ص) سيوافق على مصاهرتهم إياه ، فذلك ما لا يحتاج إلى كثير من للتأمل والتفكير .
لقد تقدم أبو بكر لخطبتها فكان جواب النبي (ص) له :
- أنتظر بها للقضاء .

وتقدم عمر لخطبتها أيضاً ، فلم يكن جواب النبي (ص) له بالذي يختلف عن جوابه لصاحبه من قبل .

وتقدم لخطبتها آخرون : فقد ذكر مالك بن أنس أنه ورد عبد الرحمن ابن عوف وعثمان بن عفان الى النبي ، فقال له عبد الرحمن :

يا رسول الله تزوجني فاطمة ابنتك ، وقد بذلت لها من الصداق مائة ناقة سوداء زرق الأعين محملة كلها قباطي مصر ، وعشرة آلاف دينار ؟ ! !

وقال عثمان :

وأنا أبذل ذلك ، وأنا أقدم من عبد الرحمن إسلاماً ! !
فغضب النبي من مقالتهما ، فتناول كفاً من الحصى فحصب به عبد الرحمن
وقال له : إنك تهول علي بمالك .

فتحول الحصى درأً فقوتت درة من تلك الدرر فاذا هي تفهي بكل
ما يملكه عبد الرحمن :

وهذا كان ببوء كل من تقدم لخطبة الزهراء بالفشل ، راجعين وقد
علموا أن في الأمر سرّاً ستكشف عنه الأيام :

* * *

واستقر النبي والمهاجرون معه في المدينة : .
وكانت الخطوة الأولى لإقامة ركيزة إسلامية تكون متندى للمسلمين ،
ومجالاً للانطلاق منه : فأمر النبي ببناء المسجد ، كما أمر ببناء دور من
حول له ولزوجاته :

وكان علي عليه السلام لا يزال في بيت النبي ، وهو الآن ذرف علي
العشرين ، وفي هذه السنّ تفتتح في نفس كل شاب براعم الغريزة الجنسية
ويندفع - طبيعياً - الى البحث عن شريكة له في الحياة :
وقواعد الاسلام في الزواج تقوم على الكفاءة والتماثل بين الزوجين .
علي ذلك البطل العملاق .

وهو ذلك المؤمن السابق الى الاسلام :
وهو ذلك الرجل المتحملي بالفضائل والمثل العليا ، والصفات الحميدة
التي يُحسد عليها ، ويُشار اليه بالهتان فيها .

وهو في نفس الوقت ابن عم فاطمة الذي ينحدر وايها من سلسلة
شريفة واحدة فمن ياترى أكفاً منه لها ، ومنها له ؟ ! !
فما الذي كان يمنع علياً من أن يتقدم لخطبة ابنة عمه ؟

تقول بعض الروايات : كان يمنعه من ذلك قلة ذات اليد . . .
وليست للكفاءة المفروضة بين الزوجين مادية حتى تستقر النفس الى
مثل هذا التعليل ، خصوصاً وقد تضافرت الروايات على أن الله اختار علياً
زوجاً لفاطمة ، واختارها زوجة له .

١ - ففي رواية عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : « لولا أن
الله تعالى خلق أمير المؤمنين علياً عليه السلام لفاطمة عليها السلام » (١) .

٢ - وفي رواية ابن مسعود عن النبي (ص) قال : « إن الله تبارك
وتعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي » (٢) .

٣ - وفي رواية أخرى ينقلها الخوارزمي : « ان رسول الله (ص)
خرج على أصحابه ووجهه مشرق كدائرة للقمر ، فسأله عبد الرحمن بن عوف
فقال : بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج علياً
من فاطمة . . . » (٣) .

٤ - وفي حديث آخر : « ان جبرائيل جاء الى النبي (ص) فقال :
ان الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي » (٤) .

إلى غير ذلك مما هو صريح في أن التزويج كان بأمر من الله ووفقاً
لمشيئته .

* * *

نعم ، يستفاد من روايات أخرى ذكرها كل من ابن حجر في

(١) محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي .

(٢) ابن حجر الميمني ، للصواعق المحرقة ص ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٢ .

(٤) للقمندوزي ، ينابيع المودة ص ١٧٦ .

(الصواعق المحرقة) وأبي داود السجستاني في (مسنده) والقندوزي في (ينابيع المودة) واحمد بن حنبل ، والحسن البصري أنه جلس أبو بكر وعمر في مسجد رسول الله (ص) ومعها سعد بن معاذ الانصاري فتذاكروا أمر فاطمة الزهراء .

فقال أبو بكر : قد خطبها الأشراف من رسول الله ، فقال (ص) : إن أمرها الى ربها ، إن شاء أن يزوجها : وان علي بن أبي طالب لم يخطبها من رسول الله ولم يذكرها له ، ولا أراه يمنعها من ذلك إلا قلة ذات اليد ، وإنه ليقع في نفسي أن الله ورسوله إنما يحبسانها عليه .

ثم أقبل أبو بكر على عمر بن الخطاب ، وعلى سعد بن معاذ فقال : هل لكما في القيام إلى علي بن أبي طالب حتى نذكر له هذا ، فان منعه قلة ذات اليد واسيناه وأسعفناه :

ثم خرجوا من المسجد فالتمسوا علياً في منزله فلم يجدوه ، وكان ينضح الماء ببعير كان له على نخل رجل من الانصار ، فانطلقوا نحوه ، فلما نظر اليهم علي عليه السلام قال :

ماوراؤكم وما الذي جئتم له ؟

فذكر له أبو بكر ماتحادنا عليه ورغبه في أن يتقدم لخطبة الزهراء من رسول الله (ص) :

عندئذ تغرغرت عينا علي بالدموع وقال : لقد هيجت مني ساكنات وأيقظتني لأمر كنت عنه غافلاً : والله إن فاطمة لموضع رغبة ، وما مثلي قعد عن مثلها غير أنه يمنعني من ذلك قلة ذات اليد :

فقال أبو بكر : لاتقل هذا يا أبا الحسن فان الدنيا وما فيها عندالله ورسوله كهباء منشور :

تقول الرواية : عند ذلك توجه علي إلى النبي (ص) وكان في منزل

زوجته أم سلمة فدق الباب .

فقال لها رسول من قبل أن يجيب علي : من بالباب ؟

فقال لها رسول من قبل أن يجيب علي : قومي فافتحي له الباب ،
وَمُرِيهِ بِالْدُخُولِ فَهَذَا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّهَا :

فدخل علي : وفتح النبي (ص) بشأن فاطمة :::

تقول أم سلمة : فرأيت وجه رسول الله يتهلل فرحاً وسروراً :

ثم قال رسول الله (ص) : إن الله عز وجل قد زوجها في السماء
من قبل أن أزوجه في الأرض :

ومها يكن من شأن هذه الرواية فإن مالا مجال لشك فيه أن الله
اختار حلياً لفاطمة ، ولا بد للاقدام على مثل هذا الأمر وتحققه من بوادر
ومقدمات ربما كانت هذه المحاورات جزء منها .

* * *

وبكل ما للبساطة من معنى تم الزواج الميمون ، وكان الصداق درعاً
حظمية باعها الامام عليه السلام بأربعمائة وثمانين درهماً ، وأتى بالمبلغ ووضعها
بين يدي النبي (ص) :

وزع النبي المبلغ على للنحو التالي : -

١٦٠ درهماً لشراء العطور

١٦٠ درهماً لشراء للثياب

٥٦٦ درهماً لمتاع البيت

٥٩٦ درهماً دفعها الى أم سلمة لتبقيه لديها

وكان أن كلف بلالا بشراء العطور :

كما أنه اختار هيئة لشراء للثياب والمتاع من بينهم أبو بكر وعمار

ابن ياسر : فاشترت الهيئة الجهاز التالي : -

- ١ - قميص بسبعة دراهم !
- ٢ - خمار بأربعة دراهم !
- ٣ - قطيفة سوداء خيبرية !
- ٤ - سرير ملفوف بشريط من الخوص !
- ٥ - فراشان من خيش مصر حشوا أحدهما ليف ، وحشو الآخر من صوف الغنم !
- ٦ - أربع مراقق (متكئات) من ادم الطائف حشوها (إذخر) وهو نبات طيب الرائحة ؛
- ٧ - متر رقيق من الصوف !
- ٨ - حصير هجري !
- ٩ - رحي يد !
- ١٠ - مخضب من نحاس لغسل للثياب .
- ١١ - قربة صغيرة .
- ١٢ - قدح من خشب !
- ١٣ - قربة صغيرة لتبريد الماء ؛
- ١٤ - مطهرة (إناء مزفت) .
- ١٥ - جرة خضراء !
- ١٦ - كيزان من خرف ؛
- ١٧ - بساط من الجلد !
- ١٨ - عباءة قطوانية ؛

وحملت الهيئة هذا الجهاز الى الرسول ، فلما عرض عليه جعل يقلبه

بيده ويقول : بارك الله لأهل البيت (١)

(١) للشيخ عباس القمي ، بيت الأحزان ، ص ١٧ .

- وفي رواية اخرى أنه قال : « اللهم بارك لقوم جل آئيتهم الخزف » (١)
- أما الإمام عليه السلام فقد اقتصر لإعداده لبيت الزوجية على مايلي :
- ١ - فرش حجرة النوم بالرمل الناعم :
 - ٢ - نصب خشبة من حائط الى حائط .
 - ٣ - اهاب كبش ومخدة ليف وضعها على الأرض :
 - ٤ - منشفة علقها على الحائط :
 - ٥ - وضع على الارض قربة ماء ومنخلا لنخل للدقيق (٢)

* * *

هذه للصورة الناصعة من تزويج الزهراء تنقلنا الى المهدى الاسلامي للعظيم في التخميف عن كاهل الأزواج بالنسبة الى المهور والإعداد لبيت للزوجية ، وهو الحل الحاسم لكثير من المشاكل الجنسية التي يضيغ للعالم المتمدن منها :

أجل ! بهذه الصورة للساذجة تم للتزويج وهي الامام عليه السلام طيلة شهر لا يذكر اسم فاطمة أمام رسول الله حياء :

وذات يوم اجتمعت نساء النبي صلى الله عليه وآله عند الامام عليه السلام ، وقلن له : ألا نطلب لك من رسول الله دخول فاطمة عليك ؟ فقال هن : افعلن :

فدخلن على رسول الله ، قالت أم أيمن : يا رسول الله لو أن خديجة باقية لقرت عينها بزفاف فاطمة ، وإن علياً يريد أهله ، فقر عين فاطمة بهملها واجمع شملها وقر عينونا بذلك :

وما ان سمع النبي صلى الله عليه وآله باسم خديجة حتى تفرغرت عيناه

(١) عبد المجيد لطفي ، الامام علي رجل الاسلام المخلد ، ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠ .

بالدموع ، وأن لها أنة ثم قال : خديجة !!

وأين مثل خديجة ؟!!

صدقتني حين كذبتني الناس ، وآزرتني على دين الله ، وأعانتني عليه بما لها - إن الله عز وجل أمرني أن ابشر خديجة بهديت في الجنة من قصب الزمرد ولا صخب ولا نصب .

ياله من وفاء تام لزوجته التي قام للدين في أحد عماديه على ما لها ، وفي العباد الآخر على سيف ابن عمه علي عليه السلام !!
ثم قال صلى الله عليه وآله : ما بال علي لا يطلب مني زوجته ، فقد كنا نتوقع ذلك منه .

فقال علي عليه السلام : الحياء بمنعني يا رسول الله :

عند ذلك التفت النبي الى النساء وقال : من هاهنا ؟

فقال أم سلمة : أنا أم سلمة ، وهذه زينب ، وهذه عائشة :، الخ

فقال رسول الله (ص) : هيثوا لابنتي وابن عمي في حجرتي بيتاً ه

فأعدت أم سلمة غرفتها للغروسين :

ثم أمر رسول الله علياً بأن يصنع لأهله طعاماً فاضلاً ، وقال له :

من عندنا اللحم والخبز ، وعليك للتمر والسمن :

فاشترى الامام عليه السلام التمر والسمن وأمر الرسول صلى الله عليه

وآله بهذبح كبش سمين ، وخبز خبز كثير ، ثم حسر عن ذراعيه ، وجعل يشدخ

للمر في السمن حتى اتخذته حيساً ، فاجتمع من ذلك طعام كثير ، ثم قال

يا علي ادع من أحببت :

فأتى الامام عليه السلام الى المسجد وهو مشحون بالصحابة ، فكره

أن يدعو قوماً دون قوم ، فصعد على رهوة ، وقال : أجيئوا الى وليمة

فاطمة :

فأقبل الناس ارسالاً ..

يقول الامام عليه السلام : فاستحييت من كثرة للناس وقلة الطعام ،
فعلم رسول الله (ص) ما تداخمني فقال : يا علي إني سأدعو الله بالبركة :
فأكل القوم عن آخرهم وقد بلغوا أربعة آلاف دون أن ينقص من
الطعام شيء :

ولم ينس الرسول (ص) زوجاته ، بل دعا بالصحاف فمأثت ووجه
بها إلى منازلن ، ثم أخذ صحناً وجعل فيه طعاماً وقال : هذا لفاطمة وبعلمها .

* * *

كانت للشمس ترسل آخر أشعتها للذهبية الى الأرض ، حين دعا
النبي صلى الله عليه وآله أم سلمة ، وقال لها : هلمي فاطمة :
فانطلقت أم سلمة وأنت بها وهي تسحب أذيالها ، وقد تصببت عرقاً
حياء من والدها العظيم فعثرت ، فقال لها أبوها بكل حنان ودفاء : أقالك
الله العثرة في الدنيا والآخرة :

وحان موعد الزفاف فأتى النبي (ص) ببغلة الشهباء وثنى عليها قطيفة
وقال لفاطمة : إركبي ، وأمر سلمان أن يقود بها ، ومشى هو خلفها ومعه
حمزة وجعفر وعقيل وبنو هاشم مشهريين سيوفهم ، وقدامها نساء النبي يرجزن
مع بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والأنصار :
كانت أم سلمة تقرأ :

سرن بهون الله جاراني	واشكرته في كل حالات
واذكركن ما أنعم رب العلي	من كشف مكروه وآفات
وقد هدانا بعد كفر وقد	أنعشنا رب السماوات
وسرن مع خير نساء اللورى	تفدى بهات وخالات
بنت من فضله ذو العلي	بالوحي منه والرسالات

أما عائشة فكانت تنشد :

يا نسوة استقرن بالمعاجر
واذكرن رب الناس قد خصنا
والحمد لله على إفضاله
سرن بها والله أعلى ذكرها
وأخذت حفيضة تنشد :

فاطمة خير نساء البشر
فضلك الله على ذا الورى
زوجك الله فتى فاضلا
فسرن جارأتى بها انها
وقالت معاذا أم سعد بن معاذ :

أقول قولاً فيه ما فيه
محمد خير بني آدم
بفضاله عرفنا رشدنا
ونحن مع بنت نبي الهدى
في ذروة شامخة أهلها
وأذكر الخبير وأبديه
ما فيه من كبر ومن تيه
فالله بالخير يجازيه
ذي شرف قد مكنت فيه
فما أرى شيئاً يدانيه

وكالت كلما تقرأ لإحدهن تردد للبواقي أول بيت من الرجز ويكبرن
الى أن دخلن الدار : وفي دار الزوجين أنفذ الرسول الي علي فدعاه ، ثم هتف
بفاطمة وأخذ علياً بيمينه وفاطمة بشمالها ، ووضع يدها في يد علي ، ثم قال :
اذهبا الى بيتكما جمع الله بينكما ، وأصلح بالكما ، استودعكما الله .
ثم أغلق عليهما الباب ...

في بيت الزوج

في بيت فاطمة تظهر صورة رائعة لمواساة الفقراء ، فقد أبت إلا أن يكون بيتها على مستوى من البساطة لا يجعل عيون الطبقة الضعيفة من المجتمع عاقبة به .

ومع أنها بنت النبي وبضعته الطاهرة ، فقد بدأت العمل في البيت من أول يوم ، ودأبت على ذلك مدة طويلة ، الى أن نالها من النصب ما جعلها ترجو النبي صلى الله عليه وآله في استئجار خادم لها ، تساعدها في شؤون المنزل ، فأنفذ لها جارية للخدمة سمّاها (فضة) .

تقول بعض الروايات : إنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها ، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها ، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها . واذ حصلت على خادمة فإنها لم تتخذ الى الراحة ، بل ظلت تعاون (فضة) حتى جعلت الخدمة لها يوماً ولخادمتها يوماً . : ه

الله لروعة الإنسانية والرافة في الإسلام !

هذه ائمة الرسول الأعظم تأتي أن تترك العمل كله على خادمتها ، وتربأ بنفسها أن تكون السيدة العاطلة التي لا يهتمها سوى تزيين نفسها ، واعداد الملابس الفاخرة للاشتراك في المجالس والمناسبات .

إنها - بذلك - تضرب أروع المثل للزوجة الوفية لزوجها ، وللشاعرة بمسؤوليتها ، والمواسية لمن هي دونها .

* * *

وبلغ من وفائها لزوجها أيضاً أنها كانت تخفي آلامها عنه ، ولا تشكو إليه ما يهدد استقرارها وطمأنينتها من غصص تنجرعها على مضض .

تخلفها العبرة : : . ولكن ما أن يفاجئها زوجها الإمام ، حتى تبتمس
له ، وتهشّ وتهشّ .

تنهش الموم قلبها الرقيق . . . ولكنها تمالك على نفسها من أن
تتحسر بأهة أو تبرز أنفة .

كل ذلك رعاية لعواطفه من أن تُجرح ، ولآلامه من أن تزداد ،
وللرحب من أن يضيق عليه !

ومن هنا ينكشف الزيف في الفرية التي اختلقها للبعض للطعن في
سلوك الإمام مع الزهراء أو العكس

ذلك أنهم زعموا أن مشادة حصلت بين الزهراء والإمام عليهما للسلام
أدت الى هجر الإمام لها ، وخروجه الى حوالي المدينة ، ثم استلقائه على
الرمل ، واطلاع النبي صلى الله عليه وآله على ذلك ، وخروجه للبحث
عن الإمام ، وأخيراً العثور عليه نائماً على الأرض والعرق يتصبب من وجهه
فيناديه : قم ، يا أبا القراب ، ويقوم الإمام عليه السلام وتنتهي الفرية بمصالحة
للنبي بين الزوجين .

هذه القصة - كأني حدث تأريخي آخر - قابضة لأن توضع على
طاولة التشريح من جانبين : من الخارج ، ومن الداخل (١) .

أما الخارج : فهو عبارة عن السند ، والنص .
وأما الداخل فهو عبارة عن عنصر الزمان ، والمكان ، والإنسان .
ولذلك فلا بد من فحص كل رواية يشك في صحتها للأكد من سلامتها ،
هذا الفحص يتعلق تارة بالسند ، وأخرى بالنص . ذلك أن من الضروري
أن نستوثق من حالة الرواة لنعرف إن كانوا خليقين بالإعتماد عليهم من

(١) محمد مهدي شمس الدين : التاريخ الإسلامي منهجاً وأسلوباً ، مقال
منشور في مجلة النجف : السنة الثانية / العدد الأول ص ١٤ :

حيث أمانتهم في النقل ووثافتهم ، أو ان سلوكهم يجعلهم موضع شك من هذه الجهة :

هذا الأمر ضروري جداً ، فان احتمال كون الراوي منحازاً الى فئة سياسية معينة ، أو كذاها ، أو ضعيف الحفظ يهدم أساس الرواية وتصبح عند ذلك فاقدة لدالاتها على المطلوب .

خصوصاً وأن كثيراً من الأفراد قد احترقوا للوضع في الأحاديث في فترات قديمة ، ويكفي أن نسمع أن ابن أبي العوجاء قال عن نفسه : « لقد وضعت في رواياتكم أربعة آلاف حديث حلت فيها الحرام وحرمت فيها الحلال » لنذكر أهمية هذه المرحلة من منهج البحث .

هذا ما يتعلق بالسند : أما النص فلا بد من التأكد من جهته ، لأن التاريخ الاسلامي لم يدون إلا في وقت متأخر ، وظلت الرواية تعتمد فترة طويلة من الزمن على النقل من الذاكرة ، ولذلك فان النص عرضة للزيادة والنقصان والتحريف دائماً : ولا يخفى أن أبسط تغيير في النص يؤدي الى قلب المعنى رأساً على عقب ، وعدم إفادة المعنى المقصود في الرواية :

أما الرواية من الداخل فانها تتكون غالباً من ثلاثة عناصر :

الزمان ::

والمكان ::

والانسان ::

ولا بد للتأكد من صحة الرواية من هذا الجانب أن نرى هل الوضع الاجتماعي والحضاري السائد في الفترة التي تتحدث عنها الرواية ، وفي المكان الذي يفترض أن الأحداث قد وقعت فيه ، يتنافى أو لا يتنافى مع الصورة التي تقدمها الرواية .:: ثم التأمل في مدى انسجام ما تتحدث عنه الرواية مع طبيعة الشخص أو الجماعة التي تتحدث عنها الرواية ، وهل يمكن حسب

الموازن النفسية أن يقوم الشخص أو الجماعة المعنية بهذا النوع من النشاط ١٢

* * *

وإذا أردنا تطبيق هذا المنهج في النقد التاريخي على الرواية الآتفة الذكر
فإنا نجد : -

أولاً : من الخارج :-

أ - السند :

ينتهي السند في هذه الرواية الى (أبي هريرة) ، وهو ذلك الوضاع
الذي لم يتورع استجابة لميوله واهوائه السياسية من أن يكذب
على الرسول في اكثر من اثني عشر الف حديثاً : لقد هم عمر
ابن الخطاب أن يضره بالدره مرة لأكاذيبه ، وفي روايته عن
لسان الرسول الاعظم : أن الذبابة إذا سقطت في اناء ، فعلى
الرجل أن يغمس الذبابة في الماء ثم يخرجها ويرمي بها ففي ذلك
الشفاء (١) غنى عن شرح حاله :

بالسخر .

وبالشفاهة :

وبالخبث : : الرسول الأعظم أجل من أن يتكلم بمثل هذه
الكلمات ، وهو القائل : (للنظافة من الايمان) .

ب - النص :

ان انفراد أبي هريرة بهذا النص لا يبدع مجال المعرفة الزيادة أو التقصان
أو التحريف في النص ، لأن ذلك يحصل عند مقارنة نصين أو اكثر

(١) محمود أبو رية : شيخ المضيرة أبو هريرة للدوسي :

بعضها البعض : : : لكن هذا الحادث - لو كان صحيحاً - لكان
جديراً باهتمام الرواة ، لأنه يقصد منه النبيل من شخصية الامام
أمير المؤمنين عليه السلام ، فانفراد أبي هريرة بها يضعف في
النفس الثقة والاطمئنان بصحة صدورها .

ثانياً : من الداخل -

أوب - الزمان والمكان :

الزمان : صدر الاسلام : والمكان : المدينة المنورة ، حيث المجتمع
المحافظ الذي أخذت تعاليم الاسلام العظيمة تستقر في كل بيت ،
وبدأ التزام غالبية المسلمين بمثل الاسلام وأخلاقه الفاضلة واضحاً
تماماً في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله :

ومع هذه الصورة فان شقاً - يحصل بين الامام عليه السلام
والزهراء لا يجد له ما يستند في مثل هذه الظروف :

ج - الانسان :

الانسان في هذه القرية هو علي بن أبي طالب : رجل الاسلام
المخلص ، وسيف الحق ، وخليفة النبي ، والامام المعصوم :

فكيف يتصور منه القيام بذلك ؟

ثم ان الزهراء عليها السلام إذا كانت تماثلك على نفسها من التظاهر
بالألم والتعب أمام زوجها اللوني خوفاً عليه من أن يزداد همه
وغمه ، كيف يعقل ان تتخذ من حوار اعتيادي بينها وبينه ذريعة
لشكوه الي أبيها العظيم ؟

هذه الملاحظات تكشف لنا - بوضوح - للزيف المقصود في هذه

الفرية ، والنفسية الحاقدة التي كانت تكن للكيد والشر لقائد الاسلام المظفر
وامام المسلمين العظيم : وهي ان أخذناها بمنظار أوسع تؤكد الحاجة الماسة
الى مطالعة التاريخ الاسلامي بيقظة وحذر شديد بن بغية استخراج الأحداث
المختلفة منه ، وتجريد الوقائع التي سجلت طبقة لأهواء الحاكمين من خلاله
رجاء الانتهاء بعد ذلك الى صورة ناصعة عن تاريخنا المجيد :

المرأة الكاملة

ولئن قيل : ان في المرأة نقصاً طبيعياً ، يمنعها من مسابرة الرجل في رجاحة عقل ، وعمق تفكير ، وصلابة وثبات : ، فذلك مالا ينطبق على الزهراء بحال !!!

فقد كانت الزهراء عليها السلام صورة فريدة للكمال الانساني ، في جانبه النسوي : . جمعت كل معاني العظمة والفضيلة والشرف والكمال : صورة تمتاز بالاصالة ، أهدعتها يد الباري القدير ، لتكون آية من آيات عظمته وجلاله ، فتبارك الله أحسن الخالقين :

لقد كانت خير بنت لأبيها : . . .

كما كانت خير زوجة لزوجها : . . .

وخير أم لأولادها . . .

تكونت شخصيتها من خيوط نيرة كان مجد محمد صلى الله عليه وآله سداها ، وعلياء خديجة لحمتها : . . . وحبك شرف علي عليه السلام تلك الخيوط وأكسبها رونقاً وبهاء فجاءت زاهية عظيمة :

ومن مثل فاطمة في شرف مؤثر ، ومجد شامخ ، ونسب أصيل : اجتمع في أبيها العظيم ، وأمها الزاكية ، وزوجها الطاهر ، وأبنائها الميامين ما لم يجتمع لغير قبيلها ولا بعدها :

ومن أجل ذلك كله ، كانت جديرة بأن تمثل القمة في مسقوى الكمال البشري في جانبه النسوي : . . .

ومن أجل ذلك أيضاً ، سماها رسول الله صلى الله عليه وآله بسيدة نساء العالمين :

وإذ كانت سيدة نساء للعالمين ، كانت سيدة نساء أهل الجنة أيضاً ؟
وحسبها أن يكون الذي يمدحها رسول الله (ص) ، فإذا بعد ذلك ؟

القلم يجف !

واللسان يكتل !

والعين تُبهر !

والرؤوس تخضع لإجلالا !

∴ ∴ ∴ : : : وللكل يشير إلى سيدة النساء ! !

ثمار من دوحة الرسالة

غصن رطيب ، وعودٌ أهيف تفتح عن خمسة براعم ، سرعان أن
قضت الأحداث على برعم منها صغير ، لم تفتح أكمامه بعد ، وبقيت
البراعم الأربعة تمثل كل ما في دوحة الرسالة من فروع ، وتمتدّها بالفيض
الغزير من الماء والغذاء .

وقد اختار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لكل من هذه البراعم
الخمسة اسماً ، فكانت الأسماء على التوالي : الحسن ، والحسين ، وزينب
وأم كلثوم ، والمحسن :

(١) الحسن :

ما ان حلت السنة الثالثة للهجرة حتى ابتسم فجر يوم الخامس عشر من
رمضان للمولود البكر في حياة الزهراء عليها السلام . . .

ذلك هو الحسن ، الذي استبشر به النبي صلى الله عليه وآله خيراً
وتناوله بيده الكريمة فأذن في أذنه اليمينى ، وأقام في اليسرى ، ثم قال لعلي :

بأي شيء سميت ابني ؟

قال : ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله .

فقال (ص) : ولا أسبق أنا باسمه ربي :

عندئذ أوحى الله الى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاطمة ، واقراءه
للسلام ، وهنّته بولده ، وقل له : ان علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسّم
هذا المولود باسم ابن هارون :

فنزله جبرئيل وهنأه من الله تبارك وتعالى وأمر أن يسميه باسم ابن هارون :

فسأله رسول الله : وما اسم ابن هارون ؟
قال : (شبر) في السريانية ، و (حسن) في العربية فسماه حسناً :

* * *

استأثر الحسن عليه السلام بحب النبي صلى الله عليه وآله ، وقد بذل له الرسول الأعظم من العناية والرعاية ما لا يقصر عن عناية أي أب بأولاده الصليبيين :

ولعل في الصورة التالية ما يغني عن الاطالة :

« دعى النبي الى صلاة والحسن متعلق به ، فوضعه النبي (ص) مقابل جنبه وصلى . فلما سجد أطال للسجود - يقول الراوي - : فرفعت رأسي من بين القوم فاذا الحسن على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله فلما سلم قال له القوم : يا رسول الله ، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كانت تسجدها ، كأنما يوحى اليك . فقال : لم يُوحَ إليّ ، ولكن ابني كان على كتفي ، فكهرت أن أعجله حتى نزل » (١) .
وقال (ص) فيه وفي أخيه : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » :

كما قال فيهما : « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » .
وهكذا شبّ الحسن ، ونما في حجور طاهرة ، وتلقى من جده العظيم وأبيه الكبير من العلوم والآداب والتجارب ما أهله للقيام بهبء الامامة بعد استشهاد الامام علي عليه السلام .

كان يمتاز بهيبة عظيمة حتى قال عنه واصل بن عطاء : « كان لا يحسن

(١) محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠ / ٨٢ :

ابن علي سيماء الأنبياء وبهاء الملوك : ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله (ص) مثل ما بلغ الحسن : كان يوسط له على باب داره فاذا خرج وجلس على البساط انقطع الطريق فما يمر أحد من خلق الله إجلالاً له فاذا قام ودخل بيته مرّ الناس واجتازوا : ولقد رأيت في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى ، حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي :

وما ان تصدى لشؤون الخلافة حتى كان معاوية بن أبي سفيان المعارض الأول له : ذلك الرجل الذي تنفس الصهداء لتوه بعد أن نجح الخوارج في اغتيال الامام أمير المؤمنين على يد (عبد الرحمن بن ملجم) ، وقد ظن أنه تخلص - بوفاته - من الخواجز التي تعترض طريقه في تحقيق خططه وأساليبه اللا إسلامية :

فما أن وجد في الحسن عليه السلام استمرار النور الحمدي ، والایمان العلوي ، والطهارة الفاطمية حتى أخذ يخطط لمعارضته :

لقد استمر في شن الحملات المسعورة ضد والده الذي هذل كل ما يملك في سبيل مرضاة الله ونشر دينه ، فكان أن نسب اليه ما لا يجرؤ القلم على التصريح به ، ومن البديهي أن يكون هذا الأمر مما يثير سخط الإمام الحسن عليه السلام :

وعمد الحسن عليه السلام أول ما عمد الى ردع معاوية عن اضطهاده للعلويين ، وحملة التهم والدعايات للباطلة التي يشنها ضد أبيه الإمام صارفاً على ذلك من بيت المال . : وما كان من معاوية إلا التادي في طغيانه والإستمرار في جرائمه ، مستهزئاً باستنكار الثمالة الباقية من الصحابة المؤمنين وغير آبه بمعارضة المعارضين وإنكار المنكرين .

وهل يتوقع ممن حمل أبوه على الإسلام كرهاً أن يكن الخير للإسلام
والمسلمين ؟ ! .

وهل يستبعد على مثل معاوية - وهو ذلك الذي لم يذق طعم الإيمان -
أن يرتكب كل ما يخالف القرآن وسنة رسول الله (ص) يدافع من حب
الإمارة والزعامة ؟ ! .

* * *

ولما لم تُجدِ الأساليب السلمية مع معاوية في صرفه عن أهدافه
المشؤومة : . .

ولما بدأ معاوية محاولاته التخريبية في شق عصا المسلمين ، وتفتيت شملهم
والإغارة على بعض المدن والقرى الواعدة : . .

فكر الحسن عليه السلام في إعلانها حرباً شعواء عليه ، فطلب منادي
الكوفة لينادي في المسلمين : (للصلاة جامعة) ! فاجتمع الناس وخرج
الحسن عليه السلام فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً ، ثم قال
لأهل الجهاد : اصبروا ان الله مع الصابرين ، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون
إلا بالصبر على ما تكرهون »

« إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك ،
لذلك اخرجوا - رحمكم الله - إلى معسكركم في النخيلة حتى لنظر وتنظرون
ونرى وترون » :

وخرج الحسن عليه السلام بنفسه ، وعبئت الجيوش ، ووزعت القيادات
وسار الجيش بعدد قوامه اثنا عشر ألفاً نحو معاوية :

وقبل بدء القتال بلييلة ، استطاع معاوية بماله من المكر والخداع ،
من إغراء عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب - وكان على رأس أربعة آلاف

من الجيش - بأن يسري إليه لقاء مبلغ مليوني دينار دفع إليه نصفها سلفاً وأجل النصف الآخر .

هذه الخيانة أحدثت ثلماً كبيرة في جيش الامام الحسن عليه السلام وتلتها خيالات أخر أوهنت الجيش وأضعفت النفوس : وبالرغم من إصرار الحسن على الحرب فان البقية الباقية سلت للسيوف عليه مظالبة إياه بمصالحة معاوية .

وهكذا بايع الإمام الحسن عليه السلام معاوية على بنود معينة كان يرمي من ورائها إلى تحقيق المصلحة العامة للمسلمين وحقن دمائهم :
ووضعت بنود المعاهدة على الصورة التالية (١) ووقع عليها الطرفان .
المادة الأولى :

تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وهسنة رسوله وهسيرة الخلفاء الصالحين :
المادة الثانية :

أن يكون الأمر للحسن من بعده ، فان حدث به حدث فلائخيه الحسين وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد :
المادة الثالثة :

أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة ، وأن لا يذكر علياً إلا بخير .
المادة الرابعة :

استثناء ماني بيت مال الكوفة ، وهو خمسة ملايين فلا يشملته تسليم الأمر : وعلى معاوية أن يحمل الى الحسن كل عام مليوني درهم ، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس : وان يفرق في

(١) الشيخ راضي آل ياسين : صلح الحسن ، ص ٢٥٢ ، للطبعة الأولى :

أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل ، وأولاد من قتل معه بصفيين مليوني درهم ، وأن يجعل ذلك من خراج دارا بجرد .

المادة الخامسة :

إن للناس آمنون حيث كانوا من ارض الله ، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وأن يؤمن الأسود والأحمر ، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم وأن لا يتبع أحداً بما مضى ، وان لا يأخذ أهل العراق بأخيه . وأمان أصحاب علي حيث كانوا ، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه ، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم وان لا يتعقب عليهم شيئاً ، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل الى كل ذي حق حقه وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا :
وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي ، ولا لأخيه الحسين ، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ، غائلة سرّاً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق :

* * *

وانتهت الحرب بتوقيع هذه المعاهدة ، ورجع كل الى مقرة :
هذه البنود كانت كافية في أن تحدد معاوية وتمنعه من الاستمرار في طغياله ، والتمادي في غيه : ولو كان وفي ببعضها - لاجميعها - لكان للربح بجانب الحسن عليه السلام ، والخسارة بجانبه : وهذا هو الذي دفعه إلى أن ينقض العهود ويعلن على رؤوس الأشهاد :
(أعطيت الحسن بن علي عهداً وميثاقاً ، وماهي كلها تحت قدمي)

* * *

ظل الامام الحسن عليه السلام يقاسي بعد ذلك الأمرين من سلوك معاوية للذي كان ينسج المؤامرات ضده في كل فرصة ومناسبة : : وانتهت

هذه المحاولات بازاء من السم بعث به الى زوجة الامام الحسن (جمعة بنت محمد الاشعث) واغراها بكثير من المال ، وضمن لها أن يزوجها (يزيداً)
انه .

فسقت الحسن السم ، فسرى ذلك في أحشائه وفتت كبده حتى
أخذ يقيء قطعاً من كبده .
ودخل عليه أخوه الحسين عليه السلام ، فقال له : كيف أنت
يا أخي ؟

قال : كيف يكون من قلب كبده في الطست .
فقال : من فعل بك ، لأنتقم ؟
قال : لاعليك ، غداً أحاصمه عند الله .

* * *

(٢) الحسين :

واستقبلت المدينة المنورة في العام الرابع للهجرة ، وفي يوم الثالث من
شعبان الوليد الجديد للزهراء عليها السلام ، وسماه النبي صلى الله عليه وآله
(حسيناً) :

وقد هنا الله نبيه بحمل الحسين وولادته ، كما عزاه بقتله ومصابه : .
علقت الزهراء به بعد أخيه الحسن ، وظلت تبذل له من الحنان
والرأفة ، عليها تجبر بذلك قسوة المصير المؤلم الذي سيلاقيه :
وكان النبي صلى الله عليه وآله يحبه حباً جماً ..
كان يقول فيه : « انه سيد شباب أهل الجنة »
وقال أيضا : « حسين مني وأنا من حسين »

وكما قال في لزهراء أنها بضعته ، قال عن الحسين : « حسين بضعه

مني »

وبهذا الصدد تقول أم الفضل بنت الحرث - مرضعة الحسين - :
دخلت على رسول الله (ص) فقلت : يا رسول الله رأيت حلماً منكراً
الليلة !

قال (ص) : وما هو ؟

قلت : رأيت قطعة من جسدك انقطعت ووضعت في حجري .
فقال (ص) : خيراً رأيت ، تلد فاطمة غلاماً يكون في حجرك .

* * *

لقد كان رسول الله (ص) يبذل لولديه الحسن والحسين للكثير من
العطف والاحترام أمام الملاة العام من المسلمين لاشعارهم بمألهما من المنزلة
عند الله . فقد روي أنه كان جالساً ذات مرة ، واقبل الحسن والحسين ،
فلما رآهما للنبي قام لهما ، واستبسطاً بلوغهما اليه ، فاستقبلهما وحملهما على كتفيه
وقال : « نعم المطي مطيكما ، ونعم الراكبان انما » (١)
وهكذا يصور لنا الرواة مدى عطف النبي (ص) تجاه الحسين مما يجعلنا
ندرك جسامة الوزر الذي تحمّلته الأمة في موقفها تجاهه بعد أن آل الأمر
اليه :

تقول أم الفضل - مرضعة الحسين - :

« أخذ مني رسول الله صلى الله عليه وآله حسيناً أيام رضاعه فحمله
فأراق ماء على ثوبه ، فأخذه بعنق حتى بكى : فقال (ص) : مهلاً يا أم
الفضل ، إن هذه الاراقة الماء يطهرها ، فأى شيء يزيل هذا الغبار عن قلب

(١) محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١٠ / ٨٠ :

الحسين ؟ » (١)

* * *

درج الحسين عليه السلام في ذلك البيت الطاهر على الإيمان والاخلاق
الفاضلة ، ورضع لبان التوحيد والاخلاص من أمه الزهراء عليها السلام .
شهد الأحداث المؤلمة التي كادت تقضي على الاسلام ، وعاشها بوعي
وتأمل :

فقد شهد في التاسعة من عمره وفاة جده العظيم ، وما جرى بعد ذلك
من نزاع على الخلافة ، وإبعاد قطب الرحي عنها حيث أخذت تدور على
غير هدى :

وشهد بعد ذلك وفاة أمه الزهراء عليها السلام ، ودفنها سرّاً ليلاً .
ثم شهد للردة التي تمثلت في قيام (معاوية) وغيره في وجه أبيه
الامام ، والتي أدت الى حرب الجمل ، وصفين ، والنهروان : . . والتي
انتهت باغتيال أمير المؤمنين عليه السلام :

وكانت الحادثة القريبة الى خاطره ، تأمر معاوية على حياة أخيه الحسن
وماهي إلا فقرة وجيزة حتى قضى معاوية نحبه مستخلفاً على الأمة ابنة
الخليع (يزيد) ، الذي كان يلعب بالكلاب والقرود ، ويشرب الخمر
ويجلب الثياب للغناء ، والذي بلغ من التسافل حدّاً جعله يستسيغ وقوف
الأخطل - للشاعر الأموي - أمامه قائلاً :

ودينك حقاً كدين الحمار بل أنت أكفر من هرمن !

* * *

لقد كان معاوية ممهداً الطريق لابنه ، آخذاً بالبيعة له من كبار القادة
والأمراء ، فحاول هذا منذ تنزّيه على مقام الخلافة أن يخضع الحسين (ع)

(١) عباس للقمي : هدية الأحباب ص ١٧٦ :

أيضاً لأمره فيكسب التأييد الكامل في الحجاز أيضاً :
وهيهات على الحسين (ع) أن يعترف ليزيد بحق في الخلافة ، وقد
غصبها أبوه من أهلها ، وصيرها الى من لا عهد له بإيمان أو اخلاص ،
وكانها ملك خاص له يورثه من يشاء :

وإذا كان الحسن يرى من المصلحة العامة أن يصالح معاوية ، فذلك
مالا يمكن أن يرضخ له الحسين ، فان تجربة نقض العهود التي صدرت
من (الأب) أقوى احتمالاً وأقرب وقوعاً في (الابن) :
ولم يفت على الحسين عليه السلام هذا الأمر حين قال : « والله لا أعطيكم
بيدي إعطاء الدليل ، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد » :
ومذ تحقق ليزيد استحالة أخذ البيعة من الحسين سلمياً ، لجأ الى
التهديد بقتله ، فأوعز إلى ولاته بالقهض عليه حتى لو وجدوه متعلقاً
بأستار الكعبة !

ولإزاء هذا الموقف فقد قرر الحسين عليه السلام الخروج الى العراق
حيث أنصار أبيه في الكوفة ، وقد بعثوا اليه بتأييدهم المطلق له ، وعدم
خضوعهم لحكم يزيد ، وأنهم لا يرضون عنه بخيره بديلاً :

بعث الحسين سفيره اليهم ، ثم توجه بأهله وعياله وجمع من بني
هاشم الى الكوفة . : : وكان سفيره الى الكوفة ابن عمه (مسلم بن عقيل)
وما أن بلغها مسلم حتى رحبت به الجماهير الناقمة على معاوية وابنه ،
وبذلت له البيعة والطاعة ، وكاد الأمر يتم للحسين :

وما كان من يزيد إلا أن يتخذ للتدابير الحاسمة تجاه ما يهدد كرسيه
فبعث بالأوامر المشددة الى واليه على الكوفة (عبيد الله بن زياد) ، وعززه
بجيش قوي بلغ عدده السبعين ألفاً .

واستطاع والي يزيد من السيطرة على الأمور ، ومعاينة كل من سالد

مسلماً في أخذ البيعة للحسين ، وقبض على مسلم وضرب عنقه وألقى بجسده
من على سطح قصر الامارة .

ولم تصل أنباء الانتكاسة الى الحسين عليه السلام ، إلا وقد قطع
الشوط الأكبر من الطريق ، فواصل السير نحو الكوفة ، بينما صدته قوات
من جيش يزيد وأجبرته على النزول في (كربلاء) :

* * *

وعلى أرض الطف التقى الفريقان :

فريق يمثل الايمان والصدق والاستقامة ، والاباء عن الضيم ، والتمسك
بالثقلين اللذين خلفهما النبي (ص) فيهم . . . وهؤلاء لا يتجاوزون الاثنين
وسبعين رجلاً .

وفريق آخر يمثل النفاق والانحراف والمكر ، والطمع في المادة ،
والسعي لثارات قتلى بدر وحنين . . . وهؤلاء يبلغ عددهم سبعين لفظاً .
ودارت المعركة في اليوم العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة . . .
وانتهت المأساة بقتل الحسين عليه السلام وأصحابه البررة ، ثم قطع رؤوسهم
وحملها على الرماح ، ونقلها الى الشام حيث (يزيد) : هذا بالاضافة الى
سبي بنات الرسالة وحملهن أسيرات الى (الخليفة الأموي) !
ولانها لمن الوفاحة أن يُقتل ابن رسول الله تحقيقاً لنزوة من يدعي أنه
خليفة رسول الله !

ولانه لمن العموق أن تسبي بنات رسول الله مع ذلك الوضع المزري
ويحملن أسيرات الى ابن هند !

ولانه لكفر ما بعده كفر ، والحاد ما بعده الحاد ، وردة ما بعدها
ردة . . : أن تُساق بنات الوحي الى مجلس (يزيد) وقد وضع رأس
أبي عبد الله الحسين عليه السلام في طست من الذهب ويده خيزرانة يضرب

بها ثنايا ابن الرسول ويقول :

لعمت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من (خندف) ان لم أنتقم من بني (أحمد) ما كان فعل !
فيقوم أحدهم ويقول : مهلاً يا يزيد ، فلطالما رأيت رسول الله (ص)
يضع فيه الطاهر على هذا الفم الذي تتناوله بالخيزران ، ويقبله . . .
فيكون ردّ الفعل إيغالا في الوحشية والبربرية .
ومن يزيد ؟

أليس ابن هند التي انقضت على الشهيد (حمزة) عم النبي ، وأخرجت
كبده ، ثم أخذت تمصغه مضغاً ؟ !

* * *

وتمر الأعوام والقرون والحسين خالد خلود الحق والطهر والإباء ،
ويزيد تطمره زوايا النسيان تارة ، واللعن والذكر السيء تارات ! ! !
تمر القرون . . . ولا زالت الألوف من الحناجر - بل الملايين -
تضج حول مرقد الحسين الطاهر وهي تهتف :
(أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهرة ،
لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ، ولم تلبسك من مدهمات ثيابها) .

* * *

(٣) زينب :

في العام السادس للهجرة ، حيث شهدت المدينة المنورة استقرار الدعوة
الاسلامية وتركز دعائمها . . . انفلق البرعم الثالث من براعم الزهراء عليها
السلام عن وليدة جديدة ، سماها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

(زينب) إحياء لذكرى ايلته الراحلة (زينب) التي ماتت في طريقها إلى دار الهجرة عندما انحسها أحد المشركين في بطنها وكانت حاملاً فأسقط حملها ، وذلك بعد أن فرق الاسلام بينها وبين زوجها (أبي العاص بن الربيع) :

* * *

وأقبل المهنتون من بني هاشم وللصحابة يباركون هذه الزهرة المنتفحة في بيت الرسول ، تنشر في المهدي عير المنبت الطيب ، وتلوح في طلعتها المشرقة ووجها للصبيح ، ملامح آباء وأجداد لها كرام ،
« ونرمق زينب وهي تدرج في ساحة البيت الشريف ، محوطة برعاية خاصة من جدها العظيم ، وعطف سابغ من آلهما للكرام ، فتراها على البعد صبية حلوة في حضانة (الزهراء) تتلقى عنها للدروس الأولى في الحياة ، فإذا جاوزت دور الحضانة ألفت أمامها أعظم من أنجبتهم الجزيرة في زمانها من المعلمين ، جدها صاحب الرسالة ، وأباها للفارس أمير البيان ، والعلماء الفقهاء من الصحابة للكرام :

ولم تظفر صبية من لداتها - فيما نحسب - بمثل ماظفرت به هي في تلك البيئة الرفيعة من تربية عالية ، وكان هذا كله بحيث يرضي (زينب) في صباها ويتيح لنا أن نراها مرحلة مزهورة ، ولكنها لانكاد تشب عن اللطوق حتى يقال أنها عرفت النبوة الأليمة : قيل لها كانت تتلو شيئاً من القرآن الكريم بمسمع من أبيها ، فبدأ لها أن تسأله عن تفسير بعض الآيات ففعل ثم استطرد - متأثراً بذكائها لللامع - يلمح إلى ماينتظرها في مستقبل أيامها من دور ذي خطر : ولشد ما كانت دهشته حين قالت له زينب في جد رصين :

- أعرف ذلك يا أبي :- لقد أخبرني به أمي ، كما تهينني لغدى :

ولم يجد الأب مايقول ، فأطرق صامتاً وقلبه يخفق رحمة وحناناً «(١)

* * *

وما أن بلغت (زينب) مبلغ الزواج حتى اختار لها أبوها بين المتقدمين لخطبتها من بني هاشم وقريش ، ابن أخيه (عبدالله بن جعفر بن أبي طالب) الذي ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها فكان أول من ولد بها من المسلمين .

لقد كان سيداً شهماً ، كريم النفس ، سخي اليد ، أسرف على نفسه في الجود ، حتى كان لايبالي أن يهلك ماله أو أن يصل الى أعدائه .

* * *

وأثمر الزواج المبارك ثمرته ، فولدت له زينب أربعة بنين : علياً ، ومحمداً ، وعوناً ، والعباس ، كما ولدت له بنتين ، ولقد كان أولادها الأربعة معها عندما سارت في ركب أخيها الحسين الى كربلاء ، وقد أخذ الضعف والعجز من أبيهم مأخذه فبقي في المدينة ،: وهكذا استشهدوا بين يدي خالهم العظيم على أرض الطف .

إن من يتصفح حياة عقيلة بني هاشم (زينب) لا يستكثر علينا القول بأن النهضة التي نهضها الحسين عليه السلام بوجه الكفر والارتداد عن دين الله كانت براء لو لم تبدأ (زينب) مهمتها من بعد معركة الطف ، آخذة بزمام الأمر في كل المراحل ،

وعلى عاتقها فقط ، كتبت الخلود لنهضة الحسين ، فكانت حلقة للوصل بين (الطف) و (الأجيال اللاحقة) :

ولعل السر في ذلك أن (يزيد) كان قد عمى على أغلب الناس بأن الجيش الذي بعثه إنما هو لمحاربة بعض الخوارج في العراق ، وأن الرؤوس

(١) بنت الشاطيء : بطلة كربلاء ص ٣٢ ، دار الاندلس ، بيروت :

التي سُحلت إليه إنما هي رؤوس الخارجين عن ربة للطاعة ، والشاقين عصا المسلمين :

ولكن (زينب) أوضحت للجمهور في (الكوفة) و (الشام) وفي الطريق . : . أنها والنساء التي معها بنات رسول الله (ص) ، وأصقت الخزي والعار يزيد ومناصريه في ارتكابه الجريمة الشنعاء :

لقد خطبت في الكوفة خطبة بليغة ، وخطبت في الشام في (مجلس يزيد) خطبة أخرى عظيمة كان لها أبلغ الأثر في إيقاظ الجماهير ولوجيه أنظارهم الى الحقيقة التي حاول يزيد عبثاً إخفاءها وإسدال الستار عليها . وكانت هي المسؤولة الوحيدة عن عيال الحسين والأنصار ، حتى أوصلتهم الى المدينة المنورة : : :

استقبلت مدينة الرسول هذا الركب الحزين ، وليس معه رجل إلا (علي بن الحسين السجاد) الذي كتب له البقاء لتستمر الامامة بوجوده وتلتقل في صلوه :

لقد ودعت المدينة هذا الركب بقيادة الحسين عليه السلام ومعه بنو هاشم : : : وهامهم يرجعون وقد تركوا الشهداء جثثاً بلا رؤوس على أرض الطف يخطون أروع سطور الشرف والإباء والتضحية في سبيل الدين الحنيف :

* * *

(٤) أم كلثوم :

ولدت للزهراء عليها السلام بعد (زينب) بنتاً أخرى سماها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله (أم كلثوم) ، ولا يذكر المؤرخون غير نثفٍ

يسيرة من حياتها :

تزوجها (عمر بن الخطاب) فولدت له ولداً سماه زيداً :
وقد ماتت هي وولدها في يوم واحد لسبب يختلف فيه الرواة ،
والظاهر أن الجدار سقط عليها :
وعلى هذا المقدار تقتصر الصورة التي يعطيها المؤرخون عن (أم كلثوم)
بنت الزهراء عليها السلام :

* * *

(٥) المحسن :

قلنا : ان البرعم الخامس من براعم الزهراء لم يقدر له أن يعيش
فقد أسقط في الأحداث التي جرت على الزهراء عليها السلام بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وآله عندما دخلوا بيتها عنوة وأضرمو النار على باب
الدار ، وقد لاذت خلف الباب لتحفظ نفسها عن النظر إليها ، فكانت
عصرة من أحدهم ، أسقط الجنين على أثرها :
وكان الجنين قد سمّي (محسنأ) قيل أن يولد :

* * *

هذه صورة مصغرة عن ثمار دوحة الرسالة : مثلت أولاد رسول الله
صلى الله عليه وآله من صلب علي وفاطمة ، الذين ظلّوا الأنوار الساطعة
التي تحكي نوره عبر الأجيال !!!

التربية الفاطمية

ولو سميناها (التربية المحمدية) لما عدونا الواقع : :
الحق أن مسألة التربية من أخطر المسائل الانسانية ، لأن مصيرها يتوقف على هذه المسألة الحية ، لأن للوراثة ليست للعامل الحاسم في سلوك الانسان إلا في موارد قليلة . . : ذلك أن التربية تستطيع بما لها من قوة أن توجه القابليات والمواهب الموروثة نحو الطريق الذي تريد من خير أو شر ، وهدى أو ضلال .

ان الفرد لا يستغني عن التربية في أي مرحلة من مراحل حياته ، فالطفل يحتاج الى تربية تضع رجله على طريق الخير وللصلاح :
والشباب يحتاج الى تربية توجه طاقاته وإمكاناته نحو الانتاج الفعال - فنياً او علمياً - وترشده الى الموازنة بين عواطفه وميوله وأهوائه حسب مقاييس صحيحة :

والشيخ يحتاج الى تربية تجعل منه إنساناً يستفيد من تجاربه ويكون منها (إيديولوجية) يتبناها ويدافع عنها ، ويدفع الآخرين لالتزامها :
وتزداد التربية أهمية بالنسبة الى الأفراد الذين يملكون قابليات وراثية عظيمة ، فان تآزر هذين العاملين وتعاونهما في مجال واحد يجعل من الفرد عبقرياً : : شأنه في ذلك شأن البذرة الصالحة ، فانها إذا لاقت تربة جيدة وسقيت بانتظام أخرجت نبتة سرعان ما تنمو وتصبح شجرة باسقة تظل بأغصانها ، وتمد للناس بثمارها .

* * *

ويبلغ من اهتمام الزهراء سلام الله عليها بتربية أولادها - بمعونة زوجها الامام - أن بذلت كل وسعها لترسيخ الأسس للوراثية التي اكتسبها من الأصحاب الشاخصة التي انحدروا عنها ، ودعمها بما يضمن نبوغهم وعبقريتهم فنجحت في ذلك نجاحاً تاماً ،
ويتضح ذلك جلياً من خلال الفقرات التالية : -

(١) احترام شخصية الطفل :

كانت الزهراء سلام الله عليها تعنى كثيراً باحترام شخصية أطفالها ، وتعاملهم معاملة الرجال في التخاطب معهم :
ان هذه المعاملة تقوي معنوية للطفل ، وتفهمه أنه أيضاً يتمتع بمكانة معازة في الاسرة والمجتمع ، ولذلك فانه ينشأ على الطموح والاستقلال والثبات بعكس الأمهات اللاتي يحتقرن أطفالهن ، فانهن يقتلن بعملهن هذا جذور الشخصية والاستقلال ، ويكبتن فيهم دوافع النمو العقلي المطرد .
وكان لهذا الاحترام أثره الفعال في أبناء الرسول (ص) ، مما جعلهم يشعرون بمنزلتهم ويطلعون على أبعاد شخصيتهم :
يقول أبو رافع - مولى النبي - :

« كنت ألاعب الحسن بن علي عليهما السلام - وهو صبي - بالمداحي ، فاذا أصابت مدحاتي مدحاته قلت : احملني ، فيقول : ويحك ! أتركب ظهرأ حملة رسول الله (ص) ؟ فاتركه : فاذا أصابت مدحاته مدحاتي قلت : لا أحملك كما لا تحملي . فيقول : أو ما ترضى أن تحمل بدنأ حملة رسول الله (ص) ؟ فاحمله » (١) :

(١) الميرزا حسين النوري : مستدرك الوسائل ج ٢ / ٧١٧ :

هذه التربية القيّمة هي التي جعلت الامام الحسين عليه السلام يأبى الخضوع لمعسكر الفسق والفجور والظلم ، المتمثل في يزيد بن معاوية وأتباعه وينهض مع النفر القليل لمحاربة الكفر والإلحاد والانحراف .
ولقد صرخ بذلك حين قال : « ألا وإن للدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين : الذلة أو السلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وانوفّ طابت ، وحجور طهرت » :

(٢) التربية على أساس الإيمان :

تكون للتربية التي لا تستند الى أساس الإيمان بالله فائدة للجدوى ، لأنها تقود الطفل الى الانكار والجحود ، وهذا ما يُسدل أمام عينيه ستاراً مظلماً حالكأ تصعب إزالته فيما بعد .
أما الزهراء فان بيتها المتواضع كان مناراً للإيمان ومشكاة للهداية .
رضعت أولادها من لبان ذلك الإيمان الخالص ، وغذتهم بتلك القيم الروحية للعالية ، فأصبحوا - والحق - جديرين بأن يكونوا الامتداد الخلاق لرسالة جدّهم العظيم .
وشتان بين تربية أساسها الإيمان ، درج عليها الحسن عليه السلام ، وتربية أساسها النفاق والجشع نشأ عليها معاوية !
وبون شامع بين تربية أساسها الطهارة تلقاها الحسين عليه السلام ، وتربية أساسها اللدنس والرجس تطبّع عليها يزيد .

(٣) الاستقامة :

وكما نشأت الزهراء عليها السلام على الاستقامة في السلوك ، فانها حرصت على تنشئة اولادها على الاستقامة أيضاً .

لقد عودتهم على الصراحة والصدق والوفاء بالوعد ، والعكس ذلك على سلوكهم في المجتمع عندما شبوا وأصبحوا أعضاء بارزين يُشار اليهم بالبنان :: : خصوصاً بعد ما احتل الحسنان منصب الامامة والقيادة ، وبالرغم من أن الفضل في شطر من ذلك يرجع الى دقة الاسلوب الذي تبناه الامام عليه السلام ، فان الزهراء كانت تشارك عملياً في تطبيق ذلك الاسلوب ، كما أنها كانت تمثل بجد ذاتها الأم الحريصة على سلامة تربية اولادها .

وجدير بكل أم أن تقتدي بالزهراء عليها السلام ، تستلهم منها الاستقامة والصراحة والصدق ، فتحول ذلك الى قدوة يقتدي بها الأطفال ويلتزمونها ، حتى إذا ما ترعوعوا وتقدموا في السن كانوا أعضاء نافعين وواعين في المجتمع .

والآن تحضرن في صورة بريئة جداً للطفلة التي تعودت الاستقامة من أمها في حوار مع أبيها :: :

تلك هي زينب ابنة الزهراء . أجلسها الامام أمير المؤمنين عليه السلام مع أخيها العباس يوماً ، وقال للعباس :

— قل : واحد !

فقال : واحد .

فقال : قل : اثنان !

قال : استحي أن أقول باللسان الذي قلت ، واحد : اثنان !

فقبل علي عليه السلام عيبيه ، ثم التفت الى زينب ، فقالت :
- يا أبتاه ، أتحببنا ؟

قال : نعم يا بنيتي ، أولادنا أكبادنا !

فقالت : يا أبتاه ، حبان لا يجتمعان في قلب المؤمن : حب الله ،
وحب الأولاد . وإن كان لابد فالشفقة لنا والحب لله خالصاً « (١) .
انه حوار قصير جداً ، ولكنه يكشف عن وعي كبير في الطفلة
البريئة : انها تريد أن تقول لأبيها : لقد تلقيت منك ومن أمي درساً هو
أن الحب لا يكون إلا لله تعالى ، وأن المؤمن لا يعمر قلبه إلا بحب ربه ،
ولذلك فان الحب يكون لله ، وللأولاد للشفقة :

(٤) الاعتماد على النفس :

الاعتماد على النفس من الشروط الأساسية للتكامل الفردي والاجتماعي :
على كل فرد أن يستند الى علمه واخلاقه ، وجدّه وجهده ، ويسعى في
طريق ضمان سعادته نظرياً وتطبيقياً ، وأن يكون على حذر تام من الاعتماد
على الآخرين :

إن المرء مرهون بعمله ، وهو الذي يتحمل تبعه ما صدر منه من
خير أو شر ، وان الجزء الذي يناله أو يصيبه إنما هو النتيجة الطبيعية
لما اكتسبت يده : ومن هنا أكد الاسلام في أكثر من مجال على مسؤولية
الفرد عن أعماله ، وتوقف نجاحه على ما يبذل من جهود لتحقيق هدفه :
قال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » (٢) .

(١) الميرزا حسين النوري : مستدرک الوسائل ، ج ٢ / ٦٣٥ :

(٢) سورة المدثر / ٣٨ :

وقال أيضاً : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنَّ سعياً سوف يُرى » (١) :

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : « الشرف بالهمم العالية ، لا بالرمم البالية » (٢) :

وقال عليه السلام : « قدر الرجل على قدر همته » (٣) .
ويقول الامام السجاد عليه السلام : « رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس » :

وعلى الولدين بالدرجة الأولى أن يلقنا الطفل درس الاعتماد على النفس منذ الصغر ، حتى ينشأ مستنداً الى عمله لا مفتخراً بأجداد آبائه .
وهذا ما نلمسه بوضوح في سلوك الحسنين عليهما السلام ، فقد حازا تلك المنزلة العظيمة بالاعتماد على نفسيهما دون التفاخر بالأب والجد . والفضل في ذلك يعود الى التربية السليمة التي تلقياها من أبيهما العظيم ، وأمهما الصديقة الطاهرة .

* * *

وهكذا يبقى أولاد الزهراء عليها السلام نماذج فذة تحكي عظمة التربية الفاطمية ، واستنادها الى أقوم الأسس والأساليب ، وأدق التعاليم الاسلامية التي تلقتها الزهراء في بيت الوحي والرسالة :

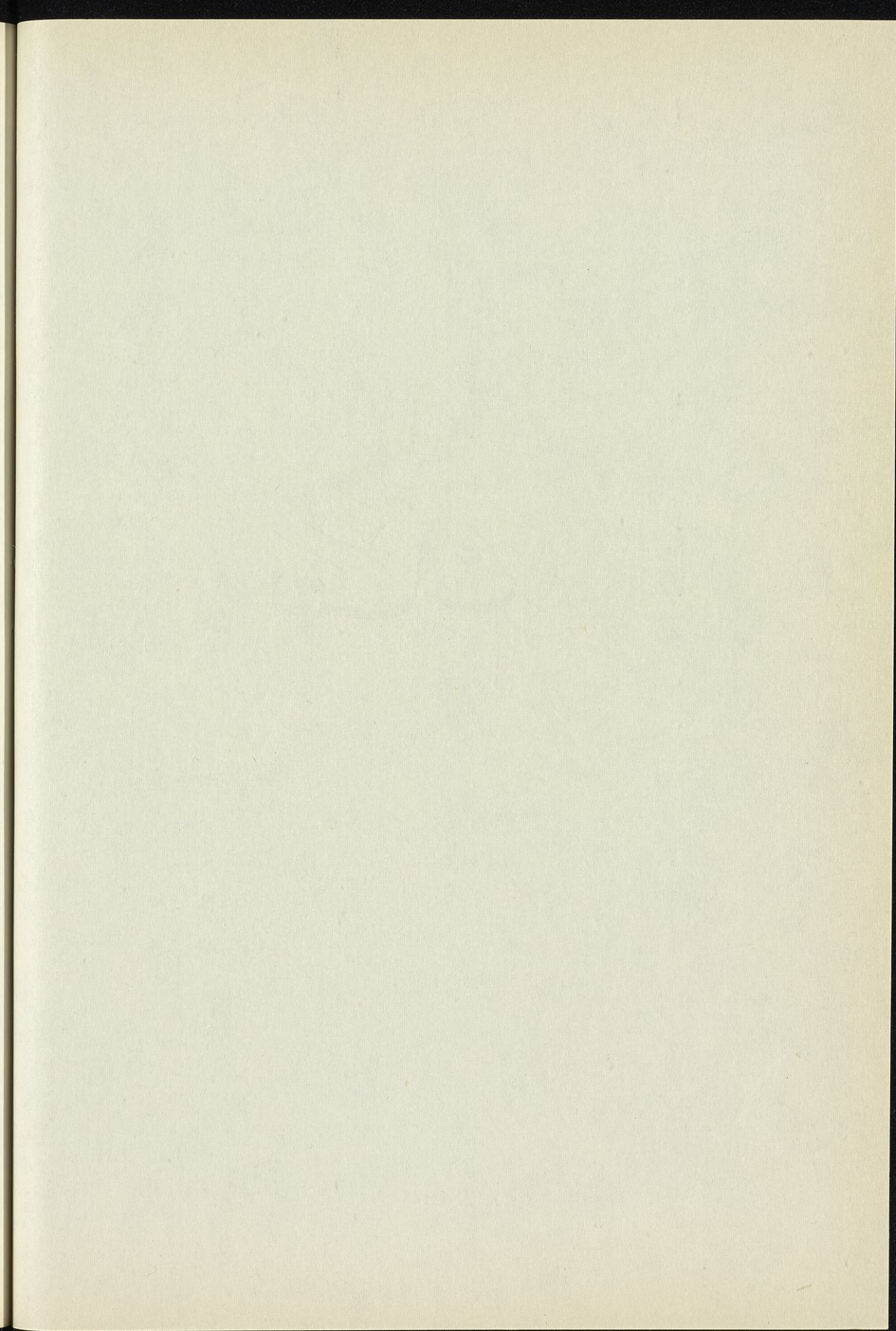
(١) سورة النجم / ٣٩ .

(٢) الآمدي : غرر الحكم ودرر الكلم ص ٨٧ .

(٣) محمد عبده : شرح نهج البلاغة ج ٣ :

بشائر

- ١ - ويطعمون الطعام
- ٢ - أجر الرسالة
- ٣ - الميامنة
- ٤ - آية التطهير
- ٥ - بلاغتها
- ٦ - عصمتها



ويطعمون الطعام ...

كثيرون هم الكرماء ::
وكثيرون اولئك الذين يتفقون في سبيل مرضاة الله ::
وكثيرون هم الذين يطعمون للطعام للفقراء والمساكين ::
ولكن ليس في ذلك كبير فضل ، ماداموا يملكون فضلا في المال ،
وزيادة في الطعام :: إنما للكرم كل الكرم ، يظهر في صورة حاجة الفرد
إلى الطعام وإيثار غيره على نفسه ، واحتياجه الى المال وتقديم المعسر على
شخصه :

هذه للصورة نجدها في بيت الزهراء :: ناصعة السمات ، واضحة
الملاح .

* * *

تمرض الحسنان ذات يوم ، وجاء النبي صلى عليه وآله لعيادتهما ،
فتأثر كثيراً مما رآهما فيه من الضعف والمرض وقال لعلي عليه السلام : لو
نذرت لشفاء ولديك نذراً !

فنذر الامام عليه السلام لله أن يصوم ثلاثة أيام إن شفي ولداه :
وشاركت الزهراء عليها السلام في النذر ، كما تبعتهم (فضة) :

يرى الحسنان من مرضهما ، وحن موعدهم وفاء النذر : :
لم تكن في زوايا البيت المتواضع مخازن للطعام ، كما هو الشأن في
بيوت الطبقة الارستقراطية ، فانطلق الامام عليه السلام الى جاره يعالج
الصوف ، واتفق معه على أن تغزل له الزهراء جزء من صوف لقاء ثلاثة
أصوع من الشعير :

وأخذ الصوف ومعه الشعير فأتى بهما الى البيت ، وأخبر أم الحسن بذلك فقبات وغزلت ثلث الصوف ، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً ، وأعدت ذلك للإفطار :
وعند الإفطار .: انتظرت الزهراء علياً ريثما يرجع من المسجد ، وما أن قدم حتى وضعت الخوان وفيه الأرغفة وجلست هي والحستان ، ومعهم فضة !

وفجأة طرق الباب طارق :

انه مسكين يقول : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني مما تأكلون ، أطعمكم الله على موائد الجنة .
ولم يكن من الزهراء الا أن تقدم له كل ما في الخوان .
باتوا جوعاً ، واصبحوا لليوم الثاني صياماً ولم يذوقوا إلا الماء !

* * *

وفي اليوم الثاني غزلت الزهراء الثلث الثاني من الصوف ، وأخذت صاعاً من الشعير فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص ، وأعدت ذلك للإفطار وهكذا تنتظر الزهراء عليها السلام زوجها الامام كي يعود من المسجد وتضع الخوان وتجلس الاسرة للطاهرة لتناول طعام الافطار ، بعد أن أخذ الجوع منهم مأخذه .: ولكن طارقاً كالذي حضر بالامس يستوقفهم ليقول :
السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا يقيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون ، أطعمكم الله على موائد الجنة :

لم يتعود علي ولا الزهراء أن يردا أحداً ، أو يتغافلا عن إغاثة أحد وإن كان بهما خصاصة ، فكيف يردان هذا اليتيم ؟

رفع الخوان الي الطارق كالبيوم السابق :

وهات الجميع جوعاً لم يذوقوا إلا الماء !

في اليوم الثالث عمدت الزهراء عليها السلام إلى ما تبقى من للصوف
فغزلته ، واخذت الصاع الأخير من الشعير ، فطحنته وخبزت منه خمسة
أقراص ، وأعدتها للافطار :

لکم الله یا أهل البيت !

تذوقون الجوع ثلاثاً ، وتجرعون ألم الطوى ، رغبة في ذات الله ،
وإنفاقاً في سيئه !

ويرجع علي عليه السلام من المسجد ، فيجلس الجميع لتناول الإفطار.
وإذا بطارق يطرق الباب :::

وتصغي له الزهراء عليها السلام ، وإذا به يقول :
السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، تأسرونا وتشدوننا ولا تطعموننا !؟
إنه أسير من أسرى المشركين ، ولكنه إنسان قبل كل شيء ، يشكو
الجوع ..

وما كان من علي عليه السلام إلا أن يأمر الزهراء برفع الخوان إليه
ويبيتون جوعاً ، ثم يصهخون مفطرين وليس عندهم شيء

* * *

ويشاء الله أن يظهر فضل أهل البيت !

وتشاء حكمته أن يسجل لهم هذه المزية في قرآن يتلى على الناس على
مر الأجيال والقرون :: فيذكرون كرم ما بعده كرم ، وترنو أبصارهم
إلى إثثار لا يضاهيه إثثار ، وإطعام على حب الله لا يذائبه إطعام .

فيهبط الروح الأمين ويقرأ على النبي (ص) :

« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً .. » إلى
أن يصل إلى قوله تعالى :

« إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً :

« عيناً يشرب بها عباد الله ، يفجرونها تفجيراً » :
« يوفون بالندر ، ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » .
« ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ، ويتيمماً وأسيراً » .
« إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » (١)
ويلقى محمد (ص) هذا الوحي بكل إجلال وإكبار :
وليعخذ للزهراء وعلي والحسين هذه المزية ، وهذا الايثار ، مادام
على البسيطة مسلم يتلو القرآن !

(١) سورة الدهر : ٥ - ٩ :

أجر الرسالة

من قال : إن طريق الإصلاح معبّد بالازهار وللرياحين ؟ ! !
ومن يتصور : أن عملاً جباراً كالذي قام به النبي (ص) يتم دون
تضحيات ؟ ! !

ومن زعم : أن تحولا عظيماً في حياة الجزيرة العربية كالذي حصل
على يد منقذ البشرية ، ورسول الانسانية محمد صلى الله عليه وآله يتحقق
دون عقبات وحواجز ؟ ! !

لقد تحمل النبي (ص) كل تلك التضحيات برخاها صدر ، واجتاز
العقبات والحواجز واحدة بعد الأخرى ، ومهد لانتشار الدعوة الاسلامية بما
أوتي من ثبات واستقامة :

حاربه قريش ، وقاطعه بعض أقاربه ، وقوبل بالسخرية والاستهزاء
وضيق الخناق على اصحابه ، فلقوا من التعذيب والاضطهاد ما زاد ثباتاً على
ثباتهم ، وصلابة في عقيدتهم :

وإزاء هذا الموقف السليبي !

وإزاء هذا الاضطهاد وذلك للتعذيب !

وإزاء كل هذا للعنت : : :

كان محمد (ص) يقف بين يدي ربه وقفة ملؤها الخضوع والخشوع
ويقول : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون !
انه الجهل ، والناس أعداء ما جهلوا . : :

* * *

ولو علم العرب ما في الطريق الذي يقودهم إليه محمد (ص) من
خير وسؤدد :

ولو عرفوا أن في اتباع الدين الذي يبشّر به رسول الله (ص) ،
سعادة الدنيا ونعيم الآخرة . :

لو عرفوا ذلك ، لما عارضوه ، ولأقبلوا عليه يؤازرونه وينضوون
تحت لوائه .

لكنه الجهل ، والناس أعداء ما جهلوا . :

* * *

وإذ نجحت الدعوة وتمّ الأمر لمحمد صلى الله عليه وآله في الغلبة على
المشركين ، وتحطيم الأصنام ، وصرف العرب عن عبادتها ولركون إليها
وتحقيق السيادة لهم على وجه الأرض . : فهاذا يا ترى يجازونه وما هو
أجره على الرسالة ؟ !

أهو المال ؟ وقد كان بإمكانه - لو شاء - أن يملك خزائن الأرض !

أهو السيادة ؟ وقد فضّله الله على العالمين !

أهو شيء مما يفكر فيه بنو البشر من اعتبارات مادية ؟

كلا !

فالرسول العظيم أجلّ من ذلك : إنه يطلب أمراً هو في مقياس
المقدرات أسهل ما يكون ، ولكنه في مقياس النفسيات أصعب ما يكون :
ما هو يا ترى ؟ !

إنه (المودة في القربى) :

أن يحفظوه في أهله ، ويراعوه في قرباه : وهل أهله غير للزهراء
وبعلها وبنبيها ؟ ! وهل قرباه غير هؤلاء الأربعة والذرية الطاهرة المنحدرة
عنهم ؟ !

ولكي يثبت ذلك في الأذهان ، ولأجل ان يكون النص في ذلك
صريحاً لا مجال فيه لتأويل أو تحريف ، أمر الله تعالى نبيه في القرآن بأن
يظهر ذلك للملأ .

ليعلن على المسلمين قوله عز من قائل :

« قل : لا أسألكم عليه أجراً ، إلا المودة في القربى » (١) :

ولتطمئن نفس محمد (ص) بعد ذلك بأنه قد أوتي أجراً على رسالته

لا يُضاهى بأي أجر !

ولتكن هذه الآية نقطة إدانة في إضبارة (للزهراء) ضد من

خاصمها وغضب حقها ، عندما تعرض الأضاير يوم القيامة أمام محكمة

العدل الإلهي : : :

وهنالك يخسر المبطلون !

(١) سورة الشورى / ٢٢ :

المباهلة

الجزيرة العربية كانت وثنية قبل مجيء الاسلام ، ولكن هذا لا يعني
إنعدام الأديان القديمة فيها : فقد كان هناك يهود في المدينة وخيبر وفدك
ونصارى في الطائف ونجران ومواضع أخرى :

كان نجاح منطق النبي (ص) في دحر الوثنية طبيعياً ، كما كان تغلبه
بالقوة على اليهود للذين أبوا إلا أن يعيشوا في الأرض فساداً ، كافياً في
القضاء عليهم : : :

أما النصارى فانهم كانوا يعتبرون أنفسهم حملة الرسالة السماوية ،
وأتباع المسيح عليه السلام ، وما على محمد (ص) إلا أن يثبت لهم أن
شريعته جاءت ناسخة للشريعة المسيحية ، وأنه خاتم الأنبياء جميعاً .

ولا يحصل مثل هذا في الغالب إلا بعد نقاش طويل وجدل عريض
تتدخل فيه بعض النزاع والحزازات ، وتمنع من الانصياع للحق أحياناً :
لذلك فقد قدم وفد من نصارى (نجران) على النبي صلى الله عليه
 وآله يتباحثون معه في شؤون المسيحية والاسلام : وعلى أن النبي استطاع
بديانته المعجز ، وبالبشارات التي جاءت عنه في الانجيل أن يقنعهم بصورة
مبدئية بصدق نبوته : : : إلا أنهم ظلوا يشككون ، ولا تطمئن نفوسهم
الى الواقع :

راح للنبي (ص) يطلب منهم المباهلة ، والمباهلة عبارة عن الملاءمة
يقصد للطرفان منها إثبات الأحقية ، فيسألون الله تعالى إنزال العذاب على
الكاذب منهم :

وجاء هذا الأمر بصورة وحي نزل به للروح الأمين :
« فمن حاجتك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل : تعالوا ندع
أبناءنا وأبنائكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل
لعنة الله على الكاذبين » (١) :

* * *

لقد كان الحافز لهذه المباهلة - كما قلنا - الجرص - على توطيد
دعامة الحق : وواضح أن مقياس الاختيار في الاشخاص الذين سيباهل بهم
النبي إنما هو مقدار تمتعهم بالفضيلة والتقوى ، ورسول الله لا يتجه في ذلك
إلا حيث يوجهه الله تعالى :

وقد وافق وفد نصارى نجران على هذا الاقتراح ، وأعدوا للأمر
عدته ، وكان الموعد : يوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة :

* * *

استيقظت المدينة المنورة على يوم شهدوا عليه كل سمات للتغير والتحول
فقد أصبحت للبلدة الطيبة غيرها بالأمس ، ولم يبق من لا يتحدث ثم هو
لا يستفيض في الحديث عن المباهلة :
وُمدّت الأعناق لترى السلطنة الرهيبة ، وصغت الآذان للرعدة
للقاصفة :

إنها لقريبة جداً ساعة المباهلة ، أو ساعة الانذار بلعنة الله على
الكاذبين (٢) :

انه يوم يحمل بين تلافيفه المفاجأة الكبرى ، والدعوة سافرة لا يسفرها

(١) سورة آل عمران / ٦١ .

(٢) لقد اوفى العلامة الشيخ عبد الله السبيتي في الحديث عن المباهلة في كتابه

القيم : (المباهلة) . وفي هذا الفصل فقرات مقتبسة من ذلك الكتاب :

شيء ، وهي من مقولة الأرقام وليست من مقولة الجدل والبرهان :
يوم يحمل بين طرفيه الحادث الخطير ، يجر في اعقابه الف حادث
وحادث .:

يحمل بين طياته عدالة السماء ، وغضب جبار السماوات ليعطي كلا من
المتباهلين نصيبه منها . ويكاد الناس أن يؤمنوا أنها النهاية بعد أن ترتفع
الأكف الالتهال ، وتجأر الألسن بالدعاء :

يوم مشهود : : قف منه حيث شئت فأنا تقف على عظمة للرسالة
الحمدية تتجلى في نفس واحدة من الانفس للكثيرة ، وامرأة واحدة من
نساء كثيرات ، وطفلين ، وطفلين لاغير : : هم جميعاً صفوة الصفوة ،
ولبّ اللباب ، الذين اختارهم الله لكرامته ، وأعدّهم لهداية أمته من
بعد نبيه :

يوم مشهود : . : اختصم فيه خصمان بربهم :

* * *

لقد جاءت الساعة المرتقبة ، واللحظة المنتظرة : : لحظة فقط تنفجر
فيها براكين الأرض ، وترسل السماء شهب النار : : لحظة واحدة يهلك
فيها الكبير ويفنى الصغير ، حيث زلزلت الأرض زلزالها :
انطلقت الأبصار الى الجهة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله
ترقب للثغر الباسم والجبين المشرق والوجه الأغر :

يا جلال الله ، هو ذا رسول الله يخرج ووجهه يشعّ بالنور :
يا لعظمة الحق وجمال الايمان : : هو ذا يحتضن (الحسين)
ويمسك بيمناه (الحسن) وخلفه بضعته (الزهراء) مغشاة بملاءة من
النور ، وهذا (علي) يمشي خلفها باهر الجلال ، يرتدي بردة من
مهابة الله .

والمباهلة هي القول للفصل في نهاية الجدل وقد اختارها الله لنبيه
واختار له الأشخاص الذين يؤمنون على دعائه :
وبعد ، فالعقل لا يصل الى صورة أرفع من هذه الصورة : وإلى
أشخاص في رتبة هؤلاء أو أرفع ، لئلا يقع من العليم للحكيم الترجيح
بدون مرجح في المرحلة للحاسمة ، ولأن العقل لا يساند الاختيار إلا إذا
وقع على الأمثل من المثل العليا ، وليس في مكنون علم الله سبحانه أمثل
من هؤلاء .

* * *

وتقول الروايات : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بهشجرتين
ففصدتا وكسح ما بينهما ، حتى إذا كان الغد أمر بكساء أسود رقيق فنشر
على الشجرتين على هيئة الخيم :
وخرج زعماء النصارى بأبهي الحلي والحلل : . ثم أرسل للنبي إلى
زعيمين منهم ، هما (السيد) و (العاقب) يدعوهما إلى المباهلة :
جفل للوفد وانكش على نفسه ، عندما رأى تلك الأنوار المشرقة
وقال بعضهم لبعض :

— لم يأتنا أبو القاسم بأهل الكبر والشدة من أتباعه ، وإنما جاء بالأعزة
والأحبة من أهل التخشع ، وبهالة الأنبياء ، والصفوة الصفوة المختارة :
وهنا كاد اليقين يمس قلوبهم بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله
فتقدم السيد والعاقب إلى رسول الله (ص) :

— يا أبا القاسم بمن تباهلنا ؟

— أهالكم بخير أهل الأرض وأكرمهم على الله ، هؤلاء : [وأشار

إلى علي وفاطمة والحسن والحسين] :

— فما نراك جئت لتباهلنا بالكبر ولا الكثر ، ولا أهل الشارة ممن

نرى ممن آمن بك واتبعك ، وما نرى هنا معك إلا هذا الشاب والمرأة
والصبيين ، أهؤلاء جئت وجئتنا نياهلك ؟

- أجل : هؤلاء ، وهم خير أهل الأرض وأفضل الخلق :
ورجعوا الى أسقفهم فقالوا :

- أبا حارثة ماذا ترى ؟

- ماذا أرى ؟ إني لأرى وجوهاً لو سئل الله بها أن يزيل جبلا
من مكانه لأزال .: أ فلا ترون محمداً رافعاً يديه ينظر الى ماتجيثان به ؟
وحق المسيح ان نطق فوه بكلمة فلا نرجع الى أهل ولا الى مال ه
كان كل شيء قد تغير ، فالشمس تغير لونها ، وتجمعت في الأفق
سحب داكنة ، وهبت رياح سوداء حمراء ، وأخذ للدخان يتصاعد من
الجبال ه فوعى للقس الحقيقة واستطرد قائلاً :

- لقد أطل العذاب : انظروا الى الطير وهي تقيء حواصلها ، وإلى
الشجر كيف تساقط اوراقها ، وإلى هذه الأرض كيف ترجف تحت
أقدامنا !؟

والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمداً نبيٌ مرسل ولقد جاءكم
بالأمر الفصل من أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم
ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لتهلكن وكان الاستئصال .: وإنما عهدكم
باخوانكم حديث ، وقد مسخوا قرده وخنازير .
ويحكم لاتباهلوه :

لاتباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرائى الى يوم القيامة !

* * *

وإذ امتنع وفد نصارى نجران عن المباهلة ، عرض للنبي صلى الله
عليه وآله الاسلام عليهم ، فأبوا ذلك ، وآثروا البقاء على دين آباءهم .

عند ذاك صالحهم النبي على الجزية ، وكتب لهم بذلك كتاباً :
ويذكر أن رسول الله (ص) قال لأصحابه بعد ذلك :
« والذي نفسي بيده ، ان الهلاك تدلى على أهل نجران ، ولو لاعنوا
لمسخوا قرده وخنزير ، ولاضطرم عليهم للوادي ناراً ، ولاستأصل الله
نجران وأهله ، حتى الطير على رؤوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى
كلهم حتى يهاكوا » :

* * *

هذه صورة بلا رتوش !

صورة عن حدث تاريخي وقع في الفترة التي شهد فيها الاسلام
استقراراً وتركزاً في المدينة المنورة ، ولكنها تحكي لنا عن مسألة دقيقة
حاول أكثر المؤرخين إخفاءها أو إهمالها بالمرور عليها مرة الكرام . : .
تلك هي الاشادة بعظمة علي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام
وبيان منزلتهم عند الله تعالى : ولولا ذلك لما صح للنبي صلى الله عليه وآله
أن يباهل للنصارى بهم ، ويتفوق عليهم ذلك التفوق المنقطع النظير :
وعلى المطالع المنصف في زوايا التاريخ الاسلامي أن يكتشف بعد
ذلك دواعي هذا الاخفاء وأسبابه البعيدة !

آية التطهير

وليس من المفاجأة في شيء أن نسمع بأن الله أنزل في علي ولزهراء
والحسين آية أخرى دلت على عصمتهم من الذنوب ، وتنزههم عن المعاصي
واحتلالهم القمة في سلم الكمال الانساني :

تلك الآية هي آية التطهير ، وهي قوله تعالى
« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم
تطهيراً » (١) :

وكان النبي حين نزول هذه الآية الشريفة في بيت أم سلمة ، فعندما
نزلت دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين وغظاهم بكساءٍ يمانى ، وقال :
اللهم هؤلاء أهل بيتي .

وأرادت (أم سلمة) أن تدخل معهم تحت الكساء ، فجذبه النبي
صلى الله عليه وآله ، قائلاً : إنك على خير :

* * *

لم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، بل بلغ في توضيح
اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة - وهو منهم - كل مبلغ ، وسلك في إعلان
ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب :

كان يمر ببيت فاطمة كلما خرج الى صلاة الفجر ، ويقول :
« الصلاة يا أهل البيت ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويطهركم تطهيراً » :

(١) سورة الأحزاب / ٣٣ :

وقد استمر على ذلك ستة أشهر (١) :

وقال بعضهم : سبعة أشهر (٢) .

وقال آخرون : ثمانية أشهر (٣) :

وعلى أية حال ، فليس الاختلاف في ذلك بالذي يضّر بأصل الموضوع
ومن هنا ندرك مدى اهتمام الرسول الأعظم ببيان عصمة أهل بيته للملأ ،
والاعلان بذلك حتى لا يجحد فضلهم بعد جاحد ، ولا يعارضهم معارض ،
وعمله هذا أوضح دليل على نزول الآية في حق هؤلاء فقط :

* * *

لكن النفوس المريضة التي تكنّ الحقد والبغضاء لعلي عليه السلام ،
لا يروق لها نور الشمس وتألّقه ، لأنها تألف الظلام وتفرّ من للنور ،
ولذلك فهي تحاول - عبثاً - أن تصرف ظهور الآية عن اختصاصها بأهل
البيت ، بدعوى أن المراد منها نساء النبي ، نظراً لسياق الآية ، ووقوعها
بعد الآيات التي تعرضت لأحكام نساء النبي (ص) :

ولتناقش هذا التفضيل من جانبيين : للسند ، والنص .

(١) السند :

من أشدّ الدعاة إلى اختصاص الآية بنساء النبي تعصباً رجلاً :

أ - بكرمه :

ب - مقاتل بن سليمان :

(١) أحمد بن حنبل : المسند ، ج ٣ / ٢٥٩ ،

(٢) عبد الحسين شرف الدين : الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء ص ٢٠٨

(٣) يوسف بن اسماعيل النبهاني : للشرف المؤبد ص ٨ .

- (أ) أما الأول فيكفي أن نسمع فيه (١) : -
 ١ - أنه كان من أصحاب نجدة الحروري (وهو من أشد الناس عداوة
 لعلي ابن أبي طالب) :
 ٢ - أنه من غلاة الخوارج :
 ٣ - أنه كذاب
 ٤ - أنه غير ثقة :
 ٥ - أنه يميل الى استماع الغناء .
 ٦ - لا يحتج بحديثه :
 (ب) وأما الثاني ، فقد ورد في ترجمته (٢) : -
 ١ - أنه كان كذاباً جسوراً :
 ٢ - كان يأخذ عن لليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم :
 ٣ - كان مشبهاً ، يشبه الرب بالمخلوقين .
 ٤ - كان يقول : سلوني عما دون العرش ، فسأله أحدهم عن النملة
 أين أمعاؤها فسكت .
 ٥ - كان من رجال المرجئة :

-
- (١) راجع ترجمته في : (ميزان الاعتدال) للذهبي :
 و (مقدمة فتح الباري) للعسقلاني ،
 و (وفيات الأعيان) لابن خلكان .
 و (معجم الأدباء) لياقوت الحموي :
 (٣) راجع عنه : (الملل والنحل) للشهرستاني :
 و (الثقات) لابن حبان الهستي .
 و (ميزان الاعتدال) للذهبي :

وإذ عرفنا حالهما ضعف اعتبار حديثهما ، وما أراداه من صرف
ظاهر الآية الى نزولها في نساء النبي (ص) .

(٢) النص

هناك نصوص ثابتة لا مجال فيها لشك أو ترديد ، تصرح بأن آية
التطهير نزلت في أصحاب الكساء لا غير .

فمن ذلك ما يلي : -

١ - عشرون رواية ذكرها السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) من
طرق مختلفة .

٢ - خمس عشرة رواية ذكرها ابن جرير في تفسيره (المعروف بتفسير
الطبري) بأسانيد مختلفة .

٣ - رواية ذكرها أحمد بن حنبل في (مسنده) .

٤ - وذكر ذلك ابن حجر في (الصواعق المحرقة) :

٥ - والطبراني في (المعجم الكبير) .

٦ - والواحدي في (أسباب النزول) .

٧ - والثعلبي في (تفسيره الكبير) .

يتبين لنا من استعراض النصوص في هذه المصادر اختصاص الآية بأهل
الكساء - وهم الخمسة - وبطلان ما يرجف المرجفون حولها :

على أن دعوى نزول الآية في حق نساء النبي (ص) مردودة بالأدلة

التالية : -

أولا : لأنها اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة والأحاديث المتواترة

الصحيحة :

ثانياً : أنها لو كانت خاصة في النساء ، لكان الخطاب في الآية
بضمير الجمع المؤنث ، فتذكير الخطاب في هذه الآية مع تأنيثه في الآيات
السابقة عليها أقوى حجة على عدم نزولها فيهن .
ثالثاً : ان وقوع آية التطهير بين الآيات التي تتعرض لأحكام
نساء النبي (ص) استطراد يحسن وقوعه في الكلام البليغ .
رابعاً : ان القرآن لم يترتب عند جمعه حسب ترتيب النزول . وذلك
هاجم من المسلمين : فالتمسك بوحدة السياق لا يكفي دليلاً على الدعوى
لاحتمال وقوع التغيير في الترتيب .

* * *

ولا يبقى لنا - وقد انتهينا من اثبات سند ما ذهبنا إليه ودلالته - إلا
أن نقف وقفة الإكبار والاجلال لأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيراً . . .
وهم - بعدُ - نقاج نورين مُخلقا قبل أن تُخلق السماوات والأرض
هما نور محمد وعلي :

بلاغتها

لا يستعظم على الزهراء عليها السلام بلاغتها ، بعد أن اتفق المؤرخون على أنها كانت أشبه الناس بأبيها ، وفي ذلك قالت عائشة : « ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله (ص) من فاطمة » (١) وكنموذج على بلاغتها نكتفي بهذه الخطبة :

قال سويد بن غفلة : لما مرضت فاطمة سلام الله عليها ، المرضة التي توفيت فيها ، دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعمدننها . فقلن لها : كيف أصبحت من علمتك يا بنت رسول الله ؟ فحمدت الله ، وصالت على أبيها ، ثم قالت : -

نص الخطبة :

« أصبت والله عائفةً لدنياكن ، قالبةً لرجالكن ، لفظتهم (٢) بعد أن عجمتهم (٣) ، وسئمتهم (٤) بعد أن سبرتهم (٥) ، فقبحت لفلول الحد ، واللعب بعد الحد ، وقرع الصفات ، وصدع القناة ، وختل الآراء (٦) »

(١) ابن عبد ربّه : العقد الفريد ج ٣ .

(٢) لفظتهم : رميت بهم .

(٣) عجمتهم : خبرتهم .

(٤) سئمتهم : مللتهم .

(٥) سبرتهم : جربتهم واحداً واحداً .

(٦) ختل الآراء : زيفها وخذعها .

وزل الأهواء ، وبس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . لاجرم لقد قلدتهم ربقتها وحملتهم أوقتها (١) . وشتت عليهم غاراتها ، فجدهأ وعقرأ وبعدهأ للقوم الظالمين . ويجهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطيبين (٢) بأمور الدين والدنيا ؟ ! ألا ذلك هو الخسران المبين !

وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟!

نقموا - والله - منه نكير سيفه ، وقلة مبالاته لحنقه ، وشدة وطأته ونكال وقعته ، وتنمره (٣) في ذات الحق ، وتالله لو مالوا عن الحججة اللايحة ، وزالوا عن قبول الحججة الواضحة لردتهم إليها ، وحملهم عليها ولسار بهم سيراً سججاً (٤) لا يكلم (٥) حشاشه ، ولا يكلم سائره ، ولا يمل راكمه ، ولأوردهم منهلاً نيمراً صافياً رويأ ، تطفح ضفتهاه ، ولا يترنق جانباه . ولأصدرهم بطانأ ، ونصح لهم سرأ وإعلانا : ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ولا يحظى منها بنائل ، غير ري الناهل وشبعة الكافل ، ولبان لهم الزاهد من الراغب ، والصادق من الكاذب . ولو أن أهل القرى آمنوا وآتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون . والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين !

(١) الأوقه : الثقل .

(٢) الطيبين : الفطن الخاذق .

(٣) تنمره : غضبه .

(٤) سججاً : سهلاً .

(٥) الكلم : الجرح .

ألا هلمّ فاسمع !! وما عشت أراك الدهر عجباً!! وإن تعجب فعجب
قولهم !!

ليت شعري ، إلى أي إسناد استندوا؟! وإلى أي عماد اعتمدوا؟
وبأية عروة تمسكوا؟! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا؟! (١) لبس
المولى ولبس العشير ، وبس للظالمين بدلاً .

استبدلوا - والله - الذنابي (٢) بالقوادم (٣) ، والعجز (٤) بالكاهل (٥)
فرغماً لمعاطس (٦) قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ألا إنهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون . ويحهم أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم
من لا يهدي إلا أن يهدي فإلهم كيف تحمون؟!

أما لعمرى لقد لقمحت ، فنظرة ريثما تنتج ، ثم احتلبوا ملء العقب (٧)
دماً عبيطاً ، وزعافاً مبيداً ، هنالك يخسر المبتلون ، ويعرف البطالون
غبّ (٨) ما أسس الأولون ، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً ، واطمئنوا للفتنة
جأشاً ، وأبشروا بسيف صارم ، وسطوة معتد غاشم ، وبهرج شامل ،
واستبداد من الظالمين ، يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فياحسرة لكم

(١) احتنكوا: استولوا .

(٢) الذنابي : ذنب الطائر .

(٣) القوادم : مقدم ريش الطائر .

(٤) العجز : مؤخر الشيء .

(٥) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٦) معاطس : جمع معطس ، وهو الأنف .

(٧) القعب : القدح .

(٨) الغب : العاقبة .

وأنى بكم وقد عُصِّيت عليكم ! أنلزمكموها وانتم لها كارهون !؟ » (١) :

التحليل الأدبي :

هذه الخطبة نموذج واحد من بلاغة بضعة النبي صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام . وهي عند التحليل الأدبي ترقى إلى مصاف النماذج الفذة للنثر الفني في عصر صدر الاسلام . وإذا استثنينا بلاغة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، فان للناقد الأدبي أن يحكم بسهولة : قصور كل من عاش في تلك الفترة ، بل وحتى في الفترات اللاحقة لها ، عن مسايرة الزهراء في مستواها البلاغي الشامخ :

وليس هذا الأمر بغريب ، بعد أن كانت الزهراء بضعة النبي ، وزوجة الامام أمير المؤمنين . فهياً لها أبوها في صباها ، وزوجها في ريعان شبابها فرصة الابداع الأدبي ، والبلاغة التامة ، والفصاحة الكاملة في حديثها العام فضلاً عن خطبة تلقبها على مسامع وفدٍ من نساء المهاجرين والأنصار .
وإذا أردنا أن نحلل هذه الخطبة القصيرة على ضوء الاتجاهات الحديثة في النقد الأدبي نجد أنها : -

(١) أبدعت إبداعاً تاماً في تضمين الآيات القرآنية في أثناء الخطبة ، ذلك التضمين الذي قلما ينجح فيه الأدباء . فان نجاح التضمين يظهر متى بدا للقارئ وكأنه يقرأ عبارة واحدة مترابطة بين أجزائها ترابطاً وثيقاً ، فلا يحسّ بانتقال سريع من نموذج إلى آخر .
وفي الخطبة نجد هذا اللون من النجاح في التضمين واضحاً تماماً ،

(١) أحمد بن علي الطبرسي : الاحتجاج ، ج ١ / ١٤٧ . مطبعة النعمان ،

النجف الاشرف - ١٣٨٦ هـ .

فترى الزهراء تستشهد بأيات من القرآن في قولها :
« بئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون » .

وقولها : « ألا ذلك هو الخسران المبين » .
وقولها : « فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » .
ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .
وقولها : « هنالك يخسر المبطلون » .
وأخيراً قولها : « وأنى بك وقد عميت عليك ! أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » وهي في ذلك كله تجيد الربط بين كلامها وبين الآية وتحسن حبلك بعضها إلى بعض .

(٢) أجادت أيضاً في استعمال الأساليب البيانية من كناية واستعارة وفي استخدام المحسنات البديعية لفظية ومعنوية كالجناس والطباق والتضمين والسجع الفني .

أ - خذ مثلاً على ذلك قولها : « استبدلوا - والله - الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل » فان الذنابي عبارة عن ذنب الطائر ، والقوادم : مقدم ريشه ، والعجز : مؤخر الشيء ، والكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق . وهذه استعارة لطيفة . فقد أرادت الزهراء عليها السلام أن القوم أزاحوا صاحب الحق الشرعي في الخلافة عن التصدي لها وأجبروه على بيعته من هو دونه في علم وفضل وورع وسابقة في دين ، فكانوا بذلك كمن استبدل قوادم الطائر بذنبه ، واستعاض عن الكاهل بالمؤخرة .

وقد أشار الامام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المعنى أيضاً حين قال « أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إلي الطير » .

ب - واستعارة جميلة أخرى نلاحظها في قولها عليها السلام : « أوردكم منهلًا نعيمًا » ، ففيه إشارة إلى أن الظروف لو سمحت للامام في الحكم وتولي أمور المسلمين بنفسه لكان يقودهم إلى حياة إسلامية سعيدة لا أثر فيها للظلم والجشع والاستغلال والإجرام والباطل . . . عندئذ كان الجميع ينهلون من منهل الحق والعدل وينعمون بالهدى والاستقرار .

ج - لما كان التعبير برغم الأنف مبتدلاً ، عدلت عنه الزهراء إلى قولها : « فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » وهذه كناية بديعة ، حيث كُنتت عن الأنف بالمعطس .

د - يلاحظ السجع المفرد والمزدوج في هذه الخطبة في أبداع صورته من ذلك قولها : « لو مالوا عن المحجة اللائحة ، وزالوا عن قبول الحجية الواضحة ، لردّهم إليها ، وحملهم عليها » .

وكذلك السجع في (طائل) و (نائل) و (كافل) ...

وقولها أيضاً : « يدع فينكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً » .

(٣) استخدمت بعض الأمثال العربية المتداولة ، في الخطبة مثل :

« وما عشت أراك الدهر عجيباً » .

(٤) اشتملت على كل مقومات الخطبة الناجحة من الاعتماد على الفواصل

والجمل المتناسقة ، والخروج من أسلوب الإخبار إلى الاستفهام ، والاستناد

إلى الحجج الرصينة والشواهد المحكمة :

وكمثال على تناسق الفواصل ، نأخذ قولها :

ليت شهري . . إلى أي إسناد استندوا ؟!

وإلى أي عماد اعتمدوا ؟!

وبأية عروة تمسكوا ؟!

وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا ؟!

إنّ لتناسق الفواصل ، وتنوعها من نموذج إلى آخر أهمية بالغة في إضفاء طابع النجاح على الخطبة . ولذلك نجد أن هذه الخطبة للزهراء استوفت جميع تلك العناصر واشتملت على كل تلك المقومات : وانظر إليها كيف تنتقل من أسلوب الإنشاء إلى الاخبار في قولها : وما للذي نقموا من أبي الحسن ؟ !

وتجيب هي بقولها : نقموا منه نكير سيفه . :
(٥) وأخيراً نجد في هذه الخطبة الراقية وصفاً دقيقاً لنفسيات المسلمين في ذلك العصر ، وإشارات واضحة إلى المجتمع المدني بصورة خاصة ، والآثار الوخيمة التي ظهرت في المجتمع الاسلامي بصورة عامة من جراء اغتصابهم المنصب الإلهي العظيم من محله وإسناده إلى غير أهله .

تبدأ بوصف فشل المهاجرين والأنصار في الامتحان الذي مروا به من موقفهم تجاه النبي صلى الله عليه وآله ، الذي سمعوه يقول غير مرة : « يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي » (١) : ويقول : « علي أخي ووصي ووزير وخليفتي من بعدي » (٢) : وقوله يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » (٣) فتمنى جميع المسلمين أن يكونوه ، وإذا به يستلم الراية الى علي عليه السلام . . . الى غير ذلك من النصوص والأحاديث . . . واذا بهم بعد وفاته ينسجون المؤامرة الظالمة فيزيحون الخلافة عن صاحبها الشرعي الذي تحدث عنها قائلًا : « ان محلي منها محل القطب

(١) احمد بن حنبل : المسند ، ج ١ / ٣٣٠ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ / ٢١٧ .

(٣) الحاكم : المستدرک علی الصحیحین ، ج ٣ / ١٢٣ .

من الرحي ، ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلىّ الطير « (١) ، في حين أنه الخبير بدقائق الأحكام وأسرارها ، والعليم بأسس الوحي والرسالة .
في الفقرة الثانية تنتقل الزهراء عليها السلام الى الأمور التي حملت المسلمين على التخلي عن نصره علي عليه السلام ، والإنتقام منه ، فتعدد لنا أموراً خمسة : -

١ - نكير سيفه : أي شجاعته وقتله فرسان العرب .

٢ - قلة مبالاته لحنفه : فقد باع نفسه لله ، ومن كان كذلك فلا

يبالي بالموت :

٣ - شدة وطأته : ضبطه للأمور .

٤ - نكال وقعته .

٥ - تسمّره في ذات الله : فلا يعرف معنى للمداهنة والاحتتيال ، وإنما هي الحقيقة يطلبها أينما وجدها ، لا يلتبس المبررات والأعداء الواهية التي يراد بها إبطال الحق أو إحقاق الباطل .

ويجمع الجميع كونه مثلاً للشخصية الاسلامية الفذة في اسمى صورها وأرقى مراتبها .

بعد هذا ، تستطرد عليها السلام في وصف الحالة التي كانوا يصلون اليها لو فسحوا المجال للامام أمير المؤمنين عليه السلام يأخذ بزمام الحكم ، ويدير دفعة الأمور ، حيث الأمن والاستقرار ، وحيث السعادة والرفاه ، وحيث الحياة الاسلامية الزاهرة التي لا أثر فيها لظلم أو اعوجاج ، ولا مجال لفقر أو جهل ، ولا استهتار أو فساد . ذلك أن كفاءة رئيس الدولة وإحاطته بجميع نوحى الأمور التي تحقق الصالح العام للامة عامل فعال في تقدم المجتمع وازدهاره .

(١) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ج ١ / ٢٥ مطبعة الإستقامة ، القاهرة .

وفي ظل حكومة الامام علي عليه السلام فقط ، كانت تزدهر العجارة
وتتقدم الصناعة ، وتتطور الزراعة . ويسيطر الرخاء ، والرفاه على شتى
مرافق الحياة :

والى ذلك أشارت حين قالت عليها السلام : « ولأوردتهم منهلاً نخبراً
صافياً رويّاً ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه ، ولأصدرهم بطاناً ونصح
لهم سرّاً واعلاناً » :

ثم استشهدت بقوله تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكنهم كذبوا فأخذناهم بما كانوا
يكسبون » (١) :

وبعد أن تبين حال الأمة الاسلامية في استبدالها صاحب الخلافة
الشرعية بمن هو دونه في الكفاءة والعلم والفضل والتقوى ، تتنسباً لهم بالمآسي
التي ستلاقيهم ، وتندرهم بمصيرهم الأسود الذي سيتحملون أوزاره : :
فتلك هي النتيجة الطبيعية لكل انحراف ، عن جادة الحق ، وتتكب عن
الصراط المستقيم الذي خطه الله بحكمته :

(١) سورة الأعراف / ٩٥ .

عصمتها

ولو أن المسلمين - جميعاً - اتفقوا على عصمة الأنبياء والأوصياء ،
وعصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين من بعده بالخصوص
لسهل علينا حسم النزاع في كثير من المسائل المتعلقة بالحوادث التي وقعت
في صدر الاسلام ، وبعد وفاة النبي (ص) على وجه التحديد :
أجل ! كان لنا أن نتمسك بدليل العصمة لنصحح تصرفات النبي (ص)
وعلي والزهراء وذريتهما الطاهرة المنصوص عليهم بالامامة ، ونشنع على كل
من خالفهم في قول أو فعل ...
ولكن أنى لنا بذلك وقد شكك البعض في عصمة النبي (ص)
بالذات ، وقصر بعضهم عصمته على الكبار دون الصغائر ، وحددها
آخرون بصورة العمد دون الخطأ ، وذهب غيرهم إلى اختصاص ذلك بما
بعد البعثة لاقبلها (١) :

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف ، فلسنا بالذين نتخرج من متابعة
الرأي الصحيح إذا قام عليه دليل قطعي من العقل والشرع ، وإن كان
ذلك الرأي مخالفاً لما التزمه كبار السلف !!
كما لا يهول علينا قول مؤرخ كبير كابن أبي الحديد في هذا الصدد:
« أما الكلام في عصمة فاطمة عليها السلام فهو بفنّ الكلام أشبه » (٢) .

(١) تعرضت لذكر هذه الأوجه في : دفاع عن العقيدة ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج ١٦ / ٢٨٣ ، دار احياء الكتب

العربية ، القاهرة - ١٩٦٢ م .

نحن أتباع الدليل نسير معه ما ظل ينير لنا سراجاً يهدينا سواء السبيل
ونتوقف حيث يوشك زيت هذا السراج على النفاذ ؛ أو الانطفاء أمام
الرياح العاتية ...

وإذا أردنا إثبات عصمة الزهراء عليها السلام ، فإن علينا إثبات
عصمة النبي صلى الله عليه وآله الذي أكد على عصمتها ، لكيلا نكون
قد ادّعينا فيها ما ليس في أيهما ، أو مستندين إلى ما لم يؤمن به الخصم
فيدفع استدلالنا بكونه نوعاً من المصادر على المطلوب .

* * *

أما الأدلة العقلية التي تُساق لإثبات عصمة النبي (ص) فهي :

(١) انتفاء الغرض من البعثة : -

مما لا شك فيه أن الغرض من بعثة الأنبياء إنما هو هداية الناس
ولارشادهم الى الطريق الصحيح ، وذلك بتكليفهم بالتكاليف التي تضمن
سعادتهم وفلاحهم .

وهذا لا يحصل إلا باتّباع الناس لأوامر النبي وانقيادهم له .
وهذا أيضاً لا يكون إلا بعدم احتلام الخطأ والجهل والكذب في حقهم .
ومن الواضح أنه لو انتفت العصمة من الأنبياء ، جاز في حقهم
الكذب والخطأ ، وإذا جاز في حقهم ذلك لم يحصل الانقياد لهم ، وإذا
لم يحصل الانقياد لهم لانتفى الغرض من بعثتهم ، فيكون ذلك عبثاً ، والعبث
يستحيل على الخالق الحكيم .

(٢) وجوب متابعة النبي : -

إن النبي (ص) تجب متابعتة . فاذا ارتكب معصية - في فرض عدم عصمته - فاما أن يطيعه الناس ويتبعونه ويفعلون ما يفعل ، أو لا يطيعونه : فان كان الأول لزم من ذلك أن يكون الله سبحانه آمراً بالقبيح ، لانه أمر باتباع النبي ، والمفروض أن النبي مرتكب للقبيح : وإن كان الثاني لزم منه انتفاء فائدة البعثة : وهذا ما أبطلناه في الدليل الاول :

(٣) النهي عن المنكر : -

لو جاز صدور الذنب من النبي وارتكاب المنكرات فاما أن يسكت الناس عنه أو ينهوه عن المنكر .
فعلى الاول لا يبرر صدور الذنب من النبي ترك الناس النهي عن المنكر لانه واجب على الجميع ، وتجاه الجميع ، فلا يجوز تعطيل هذا الواجب .
وعلى الثاني فانه يستلزم إبداءه وجرح عواطفه وهو ما نهى الله عنه حيث قال : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً » (١) :

* * *

هذه هي الأدلة العقلية على وجوب العصمة في النبي : ولما كانت الخلافة امتداداً للنسبة ، وصورة مضارعة لها لا تختلف عنها إلا في الوحي

(١) سورة الاحزاب / ٥٧ .

فان الخليفة (الامام) هو أيضاً يجب أن يكون معصوماً .
هذا في مقام الاثبات .

أما في مقام الثبوت فقد اتفقت الأمة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يصدر منه طيلة عمره ما يخلّ بعصمته . واذا تذكرنا أن العرب كانت تبذل كل طاقتها لهدم أساس الدعوة الاسلامية ، ومعارضة النبي (ص) في دينه الجديد ، وأن الدواعي للتشنيع عليه كانت متوفرة لو صدر منه ذنب أو أمر مخلّ بالمروءة والشرف حتى قبل البعثة ، لكان في ذلك المجال الفسيح لمعارضته والقيام بوجهه .: . ولذا لم يصدر مثل هذا التشنيع من قبل المشركين فانه دليل على عصمته وتنزهه عن الذنوب والمعاصي .

* * *

وإذ ثبت لدينا عصمة النبي صلى الله عليه وآله فاننا ننقل إلى عصمة الصديقة الزهراء :

لقد شهد بعصمتها الكتاب الكريم حيث قال : -

١ - « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » (١) .

ومن الثابت أن أهل بيت النبي الذين أكد على رعاية حقهم والتزام أوامرهم والتمسك بهم هم : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين .
وقد تقدم تحت عنوان (آية التطهير) ما يثبت ذلك . فهذه الآية تدل دلالة صريحة على أن أهل البيت منزهون عن كل معصية ومطهرون من كل ذنب :

٢ - « فمن حاجبك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل

(١) سورة الاحزاب / ٣٣ .

لعنة الله على الكاذبين » (٢) :

وقد سبق أن ذكرنا أن المراد من (نساءنا) في هذه الآية الكريمة فاطمة عليها السلام . وهي تدل على أن الخمسة الذين أمر الله نبيه بمباهلة النصارى بهم إنما هم على درجة من التقوى والاستقامة والمنزلة عنده عزوجل بحيث يستحقون اختيارهم لهذه المهمة العظيمة .
إنهم الصفوة المرضية من عباده ، والمباهلة لا تصح بمن تصدر منهم المعاصي والذنوب .

وحسب الزهراء أن تكون « مختارة الله ليباهل بها رسول الله من تسع نسوة هن أمهات المؤمنين ، ومن بين نسوة زكيات المغرس في المنبت الاثيل والشرف الموروث في المجد المؤثل ، خفرات عمرو العلي ، غرة المجد وعقائل شبيهة الحمد ، كأم هاني وصفية .

ولا يجوز عند العقل أن يكون إختيار ولا تكون أفضلية ، ولا يتأتى الاختيار إلا إذا لم يكن هناك كمال مطلق وأفضلية على سائر النساء ، وإلا لزم الترجيح بدون مرجح ، وهذا مستحيل عند العقل ، لا يجوز على الحكيم . ومن أجل هذا الاختيار نفهم التفضيل المطلق بدون مشاركته ، لأن العقل لا يفهم الاختيار مع التساوي في الفضيلة والمشاركة في الكمال .
فلا بد إذن من أفضلية وأكلمية ليقع الاختيار صحيحاً طبق العقل .
وإذا كانت سلام الله عليها قد اختارها الله مع من إختار ، فما ذلك إلا من سمو القدس وغلبة الروحانية في الانسانية الطاهرة المهذبه ، وإذا غلبت الروحانية فقد تكاملت المثل العليا في النسوية العالية .
وعلى قدر نشأة النواميس الروحية في النفس البشرية تسمو الانسانية وترتفع الى منزلتها السامية التي أعدت لها في المكان الأرفع :

(١) سورة آل عمران / ٦١ .

وحيث تجمعت القوى الروحية والنواميس القدسية في هذا الملاك
النسوي الطاهر فقد تهيأت النفس للمثل العليا وخرقت العادة في اطرادها
البشري حتى تستجبل الى معجزة في كمال الوجود ، وكمال الفضيلة :
وهكذا كانت فاطمة بنت محمد عليه وعليها السلام . فقد تجمع في
نسويتها نواميس روحية وكمالات نفسية رفعتها في الانسانية الى أسمى الدرجات
التي يصح في العقل أن ترتفع اليها امرأة ، فهي اذن سيدة نساء العالمين (١) .

* * *

أما شهادة النبي صلى الله عليه وآله بعصمة الزهراء فتظهر من خلال
النصوص الآتية : -

١ - قوله (ص) : « إن الله يغضب لغضب فاطمة ، ويرضى لرضاها (١) » :
ومن الواضح أن الله لا يغضب لغضب عبد من عباده إلا إذا كان
معصوماً ، وإلا فإن غضبه لغضب العبد المذنب ورضاه لرضاه يكون إقراراً
له على ذنوبه ، وتشجيعاً لاستمراره في ارتكاب المعاصي ، وهذا قبيح ،
يتنزه الله تعالى عنه .

٢ - قوله (ص) : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة » (٢) .
وفي هذا الحديث دلالة واضحة على احتلال الصديقة الزهراء القمة
في الكمال النسوي . وهذا لا يحصل إلا بتزهرها عن الذنوب والمعاصي .
(٣) قوله (ص) : « إني تخلف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي
أهل بيتي ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، وإلهما لن يفترقا

(١) عبد الله السبتي : المباهلة ، ص ٦٧ - ١٣٦٦ هـ .

(٢) أحمد بن سليمان القندوزي : ينابيع المودة ص ١٧٣ .

(٣) البخاري : الجامع الصحيح . نقلاً عن القندوزي : ينابيع المودة ص ١٧٢ .

حتى يردا عليّ الحوض » (١) .
فقد أمر (ص) بالتمسك بالثقلين ، وقارن العترة بالكتاب
وهذا أوضح دليل على عصمة العترة ، لأنهم لو لم يكونوا معصومين لم تصح
مقارنتهم بالكتاب المنزل وإيجاب التمسك بهم .
على أن هناك نصوصاً كثيرة تؤيد ما ذهبنا إليه ، ولكن في ما ذكر
غنى عن الاطالة .

-
- (١) روى ذلك زهاء ٢٠٠ راوياً أحصاهم السيد مير حامد حسين في موسوعته
القيمة : (عهقات الأنوار في إثبات امامة الأئمة الاطهار) ، منهم :
- البخاري في (صحيحه) .
 - أحمد بن حنبل في (مسنده) .
 - الحاكم النيسابوري في (المستدرک) :
 - مسلم في (صحيحه) :
 - الترمذي في (سننه) :
 - الطبراني في (المعجم الكبير) .

وعى الموقف

Handwritten text in Arabic script, possibly a signature or a date, located in the center of the page.

إدراك أبعاد الموقف الذي يقفه الانسان ، لا يقسنى لكل أحد ،
فهناك الكثيرون ممن يقفون مواقف معينة ، دون أن يصدروا في موقفهم
ذاك عن وعي وتخطيط .

بينما تمتاز القلة من الأفراد بنبوغ وعبقرية يستطيعون بهما من التعمق
في الأمور ، وتناولها بأسلوب فلسفي دقيق .

* * *

كذلك الزهراء عليها السلام في خطبتها العظيمة التي ألقتها على جماهير
المسلمين في باحة المسجد :

لقد ارتج المسجد لخطبتها : : .

وارتج الناس لها حتى ضججوا بالبكاء والعيول . : .

وارتجت العقول المفكرة في ذلك العصر - على قلتها - من عظمة

الفلسفة التي تضمنتها خطبة الصديقة الزهراء عليها السلام في عصر كان يرى
المرأة لا تقدر أن ترتفع إلى مستوى الرجل أو مستوى الانسان !!

صغت القلوب قبل الآذان إلى حديث فاطمة ، ثم أدركت أنها على

جانب عظيم من الوعي والإدراك :

ذلك أنها تناولت معظم جوانب التشريع الاسلامي فذكرت لكل

جانب حكمته وفلسفته : : .

حللت الأمور تحليلاً دقيقاً ، وذكرت المشاكل والآفات الاجتماعية

والفردية ، والاقتصادية والسياسية ، والنفسية والاخلاقية . : . ثم أوضحت

كيف أن الاسلام عاجلها علاجاً حكيماً ، وأنه كيف استطاع أن يستأصل

جذور الشر والفساد والتحلل والانهدام من المجتمع العربي .

ذكرت ذلك كله وأبانت الحلول الاسلامية العظيمة لمختلف المشاكل

والمآسي ، فأثبتت أن الاسلام هو الدين القيم ، وهو الدين الخالد ، وهو

الشريعة التي ستبقى أبد الدهر لأنها تتضمن أسس السعادة الانسانية ولا تدع زاوية من زوايا الحياة إلاّ ووضعت لها علاجاً حكيماً :

وعلى سبيل النموذج تعال معي أيها القارئ الكريم لنستخرج نقاطٍ جلية من هذه الخطبة البليغة ، نجد فيها وعياً قصر اكثر الصحابة من إحرازه على كبر سنهم ، وحازته الزهراء عليها السلام على صغر سنها :: وهذا إن دل على شيء فلا يدلّ إلا على أن أهل البيت عليهم السلام هم الصفوة المختارة التي اختارها الله تعالى لحمل رسالته إلى الأفراد وضمان حياة المثل العليا والسلوك الحميدة بين بني البشر :

* * *

(١) الصلاة :

تستعرض الزهراء عليها السلام الحكمة في تشريع الصلاة ، فتلخصها في جملة قصيرة ، حيث تقول :

« والصلاة تنزيها لكم عن الكبر » .

إن الاسلام حيث يقرر العبودية لله تعالى فانه يقصد من وراء ذلك أن يحرر الانسان . فلئن بدأت الجولة بالعبودية لله وحده فانها تنتهي بالحرية التامة التي تجعل الفرد لا يخضع لأية قوة مهما كانت عاتية :

هكذا تقوم معركة التحرير في المنطق الاسلامي . أما في منطق المذاهب التي تدعو إلى الحرية المطلقة ، فان الجولة فيها وإن بدأت بالحرية لكنها تنتهي بالعبودية للشهوة ، والعبودية للجاه ، والعبودية للأطماع .

هنا تقرر الزهراء عليها السلام - وبوجه قاطع - أن الفائدة التي تعود على الانسان من إقامته للصلاة هي تنزهه من الكبر ، ذلك الداء الوييل

الذي يُفقد التعقل والادراك من صاحبه ، ويجعله يسبح في عالم من الخيال
الفارغ ، الذي يجد فيه نفسه فوق مستوى الآخرين :
على أن السمو الروحي فائدة أخرى تعود على الانسان المصلي ، ذلك
ما قرره القرآن الكريم حيث قال : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »:

(٢) الزكاة :

وقد تعجب حين تسمع الزهراء عليها السلام تقول :
« والزكاة تركية للنفس ونماء في الرزق » :
فتقول : وكيف يكون أداء الزكاة نماءً في الرزق في حين أن الفرد
يبدل أمواله وينفقها ، والانفاق عكس النماء ؟ . لكن عجبك هذا سرعان
ما يزول إذا عرفت أن النتيجة التي تحصل من مساعدة الضعفاء والفقراء هي
ارتفاع مستواهم الاقتصادي وبلوغهم مرحلة مناسبة من الانعاش المادي .
الامر الذي يؤدي إلى زيادة القوة الشرائية عند اكبر كمية من أفراد المجتمع
ومن أوليات ما يتعلمه دارسو الاقتصاد أن ازدياد القوة الشرائية عند الأفراد
يؤدي إلى زيادة الانتاج وزيادة الاقبال على السلع والخدمات ، الأمر الذي
ينتهي بالفائدة والسعة في الرزق لجميع الأفراد :
هذا مضافاً إلى أن الله تعالى وهو الرازق الأول سيكافئ هؤلاء الذين
ينفقون أموالهم في سبيله بأضعاف ما أنفقوا فيهيء لهم وسائل التقدم
والنجاح دائماً .

إننا إذا استقرأنا أحوال الأفراد الذين يمدون يد العون إلى الفقراء
والضعفاء بسخاء ، ويسهمون في المشاريع الخيرية ، ويؤدون ما عليهم من
واجبات مالية نجد أن غالبيتهم يسرون في خط تصاعدي بالنسبة إلى الثروة

وزيادة الدخل :

(٣) الصوم :

وحين أتت الزهراء عليها السلام على ذكر الصوم قالت :

« والصيام تثبيتاً للاخلاق »

متى يستطيع الفرد من إثبات إخلاصه لله تعالى ؟! عندما ينجح في السيطرة على غرائزه وشهواته وتوجيهها الوجهة المعقولة التي لا إفراط فيها ولا تفريط : وفي الصيام تتجلى أعلى مظاهر ضبط النفس والسيطرة على زمام الشهوات . فان الانسان - وبمحض إرادته - يمسك عن الطعام طيلة النهار ، وكذلك يمسك عن الشراب وعن كثير من الأمور كممارسة الوظيفة الجنسية وما شاكلها : وبذلك يثبت إخلاصه لله تعالى :

(٤) الحج :

أما عن الحج فقد قالت عليها السلام :

« والحج تشييداً للدين »

ان هذا الواجب الاسلامي المقدس يهدف إلى أسمى الغايات وأعظم المقاصد ، ذلك هو التقاء جهود المسلمين جميعاً وتبادل وجهات النظر فيما بينهم في المسائل والشؤون التي تمهمهم .

وجميع مناسك الحج ترمز إلى حقائق أعمق مما يتصوره الافراد السذج . فالطواف مثلاً حول البيت يمثل ضرورة دوران نشاط الفرد حول نقطة مركزية واحدة هي رضا الله تعالى ، وتعبيراً عن هذه المشاعر فان

الفرد يدور حول البيت ويطوف به ليؤكد تأسيس جميع أعماله وأفكاره وأقواله على أساس من رضا الله وإرادته .
ومن الطبيعي بعد ذلك أن يكون الحج تشييداً للدين ، فهو بمثابة مؤتمر موسّع يستوعب مئات الألوف من المسلمين كل عام ، كلّ يحاول أن يستفيد ممّا لدى أخيه المسلم من تجارب وآراء .

(٥) العدل :

وعن العدل قالت عليها السلام :

« والعدل تنسيقاً للقلوب »

إن العدل أساس الاستقامة في النظام الاجتماعي ، وهو الضمان الوحيد لسيطرة الأمن والهدوء على جميع الناس .
إن التشريع العادل هو الجدير بالبقاء لأنه يعامل الناس جميعاً معاملة واحدة لا يميز فيها بين غني وفقير ، وشريف وضيع ، وقوي وضعيف .
القوي هو صاحب الحق في منطق الاسلام .
والضعيف هو المغلوب على أمره ، الذي لا يملك حجة على ما يذهب .
الغني هو الذي يملك إيماناً خالصاً وعقيدة راسخة .
والفقير هو الذي يتذبذب في تفكيره وعقيدته .
الشريف هو الذي يستغل مواهبه وطاقاته في الخير .
والوضيع هو الذي لا يرتفع عن مستوى البهائم .
وبعد هذا كله فهم أمام القانون سواء ، يقوم ميزان العدالة بالحكم فيما بينهم بالقسطاس المستقيم . وهذا أدعى للتآلف بين القلوب وتنسيقها ، كما قالت الزهراء .

(٦) وجوب طاعة أهل البيت :

وهكذا تستطرد الزهراء عليها السلام في حديثها عن فلسفة الأحكام
فتقول :

« وطاعتنا نظاماً للملة »

لاشك أن الأمة تحتاج إلى من يأخذ بيدها نحو شاطئ الخير والهداية
دائماً ، إنها لا تستغني عن من يقوم بدور الإرشاد والتوجيه : والذي يقوم
بهذه المهمة هم أهل البيت عليهم السلام ، الذين أذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيراً .

وعلى هذا الأساس فإن طاعة أهل البيت هي الركيزة الأولى في بناء
النظام الاسلامي .

ومن هنا جاء الحث على اطاعتهم في القرآن الكريم حيث قال عز
من قائل : « أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » .

(٧) الامامة :

وتكملة لموضوع الطاعة تقول عن الامامة :

« وإمامتنا أماناً من الفرقة »

الامامة ليست إلا امتداداً للنبوة ، وظلاً لها ، واستمرارية لتلك المسؤولية
العظمى التي يضطلع بها النبي في قيادة الامة وتوجيهها . وعلى هذا فان
نصب الامام من قبل الله تعالى كالنص على النبي وتعيينه ضروري لعدم
تفرق للنامن وتشتتهم ، ولجمعهم على كلمة للتوحيد .

إن الأئمة عليهم السلام هم الانوار الساطعة في الأرض الذين يرشدون

الناس الى الاحكام الاسلامية ، ويجنبونهم من المشاكل والأخطار التي تسبب لهم للدمار والشقاء .

الأئمة عليهم السلام هم الأعلام الواضحة التي يستضيء بها الناس في متاهات الحياة .

وانطلاقاً من هذه الزاوية أكدت الزهراء عليها السلام في كل مواقفها البارزة على دور الامام علي عليه السلام في مسألة المصير الاسلامي ، وللقبادة بأجلى مفاهيمها :

(٨) الجهاد :

وهل يشك أحد أن « الجهاد عز الاسلام » كما قالت الزهراء عليها السلام؟!

إن الدولة - أية دولة تحتاج إلى قوة دفاعية تحصنها ضد اعتداء الأعداء وتجاوزهم ، ومن هنا راحت الدول تصرف الملايين من الدنانير سنوياً على مسألة الدفاع .

وتشريع الاسلام للجهاد إنما هو تأكيد على ماعهدته البشرية من ضرورة تقوية المراكز الحساسة في الدولة منعاً للاعداء من إلحاق الأذى بالمواطنين : وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

كما أكد عليه الامام أمير المؤمنين عليه السلام حين قال : « أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة » .

(٩) الصبر :

وقالت عن الصبر :

« والصبر معونة على استيجاب الأجر »

من البديهي أن طريق الإصلاح ليس معبداً بالازهار والرياحين ، بل
تعرضه العقبات والعراقيل ، وهو مليء بالمخاطر .. وعليه فلا بد على الفرد
أن يواجه المشكلات برحابة صدر ويعمل على حلها بدقة واتقان :
هنا يبرز دور الصبر واهميته ، حيث أنه يمنح الانسان طاقة لمواصلة
السير حتى النهاية . ولذلك فطبيعي أن يكون معونة على استيجاب الأجر
من الله تعالى :

(١٠) الامر بالمعروف :

والامر بالمعروف هذه الدعامة العظيمة قالت الزهراء عليها السلام عنه .

« مصلحة العامة »

أجل ، فان قوام المجتمع إنما هو بتكاتف أفراده وتواصبتهم على الحق
والخير ، يجعل كل فرد من نفسه رقيباً على الآخرين ، يدعوهم الى التزام
العمل للصالح ، يحثهم على السلوك الفاضل . ولهذا أثره الكبير في تقدم
المجتمع وانتشار الوعي بين أفراده .

إن الأمر بالمعروف في منطق الزهراء عليها السلام - وهو لا يعدو أن
يكون منطق الاسلام بالذات - يحقق اكبر مقدار ممكن من المصلحة للامة.
كل فرد من أفراد الأمة الاسلامية راع والجميع مسؤولون عن رعبتهم
ولا يخفى أن الشعور بالمسؤولية أساس ضمان الحقوق لجميع الأفراد ، وأساس
التقدم والنجاح :

(١١) النهي عن المنكر :

ومن مستلزمات الامر بالمعروف ، النهي عن المنكر . وهما شقان
لمبدأ واحد :

وعليهما ترتكز سلامة المجتمع وازدهاره .
كل فرد يحاول اقتلاع جذور الشر والفساد من المجتمع .
وكل فرد يعمل على ردع الخارجين على الآداب والتعاليم الاسلامية
بالأسلوب للنافع .
كل فرد يدعو الى الخير والفضيلة ..
وهناك المجتمع الفاضل !!

(١٢) بر الوالدين :

ثم ذكرت الحكمة في البر بالوالدين فقالت عليها السلام :
« وقاية من السخط »

إن الاسلام يحرص على تماسك المجتمع ووحدة ، والأسرة لبنة المجتمع
وأساسه ، فلا بد أن يولي الاسلام اهتماماً بالغاً نحو وحدة الاسرة وتشديد
أواصر أفرادها :

انه يؤكد على رعاية حقوق الوالدين ، والبر بهما . وفي نفس الوقت
يوصي الوالدين بالرفق بأطفالهما والتزام أسلوب معقول في تربيتهما .
هنا يظهر التقابل في الحقوق والواجبات ، ولكن هذا لا يعني أن تقصير
أحدهما في واجباته يبرر خروج الآخر أيضاً مما عهد به اليه من دور ، بل
على العكس من ذلك فان عليه أن يقول لها قولاً كريماً :

(١٣) صلة الارحام :

وإذا فرغ الاسلام من التأكيد على وحدة الأسرة وتماسكها انتقل الى الأسر الأخرى التي ترتبط بهذه الأسرة بروابط القربى والرحم ، فأخذ يؤكد على ضرورة صلة الارحام .

وحين تأتي الزهراء عليها السلام الى هذا الموضوع تقول :

« صلة الارحام منساة في العمر ومناة للعدد »

أجل ، ان للتواصل بين الأقارب وتعاطفهم ومساعدة بعضهم لبعض من أهم عوامل الرفاه والطمأنينة في المجتمع :

(١٤) القصاص :

أما القصاص فقد أوجبه الاسلام : « حقناً للدماء » :

ولاشك أنه الاسلوب الأمثل في معالجة الجرائم . لا يدانيه في ذلك أي تشريع : إن بعض البسطاء الذين لا يملكون نصيباً وافرأ من للعالم يتحاملون على الاسلام في قسوة عقوباته ، غافلين أنها الضمان الصحيح لعدم انتشار الجرائم في المجتمع :

إن الفرد الذي يرى النظام الجنائي في المجتمع قائماً على المقابلة بالمثل (أي القصاص) في الجرائم التي تقع على النفس يربأ بنفسه من أن يقدم على القتل : لأنه يعلم يقيناً أنه إذا قتل شخصاً فجزاءه القتل ، وإذا قُتِلَ عين رجل فان عينه تفتقأ . . .

أسألك بالله ، هل تسمح غريزة حب الذات للفرد بأن يعرض نفسه للقتل عند ما يقتل شخصاً ؟ !

إنه العلاج الحاسم للوقاية من الجرائم . :
أي شيء فعلته السجون حين راح المجرم يقضي فترة من حياته في
زاوية السجن ؟ !
أجل ، تفنن المجرم أكثر ، واستفاد من تجارب زملائه . وتعلم أنواعاً
أخرى من الجرائم لم يكن يعرفها من قبل ، وكأننا أردنا من العقاب على
الجريمة الإكثار منها .
كلا ، فإن الحلول الأرضية فاشلة كلها ، ولتخلد شريعة الله التي
جاءت بالحل الحاسم :

(١٥) الوفاء بالنذر :

ولإذ يفى الإنسان بالنذر الذي التزمه على نفسه تجاه الله ، فإنه يؤكد
على طاعته لله تعالى ، ومعرفة حق خالقه عليه ، وهو عندئذ يكون مستوجباً
لمغفرته ورضوانه :

ومن هنا قالت الزهراء عليها السلام .
« والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة » :

(١٦) توفية المكاييل والموازين :

وعن هذا الأمر أيضاً تحدثت الزهراء عليها السلام فقالت :
« وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس »
إن الاسلام يحارب الاستغلال ، ويحارب اللغو ، ويحارب البخس .
إنه لا يرتضي إلا العدل : : يريد من الأفراد جميعاً أن يمشوا متضامنين

مكتاتفين : وايقاء الميكاييل والموازين يقوم بدور مهم في تحقيق هذه الغاية .
لانه لا يفسح مجالاً للبخس والغبن ، بل يعطي لكل فرد حقه .

(١٧) النهي عن شرب الخمر :

أما عن حكمة النهي عن شرب الخمر فقد قالت سلام الله عليها :

« تنزيهاً عن الرجس »

والخمرة هذه الجرثومة الخبيثة التي حاربتها جميع الشرايع السماوية
أوضح ما فيها أنها تذهب بالعقل ، وإذا سلبت من الفرد عقله ، فماذا
سيكون يا ترى ! ؟

لانه وحش كاسر ، أو بهيمة تافهة .

من أجل ذلك وحرصاً على سلامة العقل فإن الاسلام حارب الخمرة
حرباً لا هوادة فيها . حتى أنه منع المسلمين من تزويج فتياتهم من شاربي
الخمر ، فقد ورد في الحديث : « من زوج كريمته من شارب خمر فقد
قطع رحمتها » .

(١٨) اجتناب القذف :

وعن الحكمة في اجتناب القذف من قبل المسلم قالت عليها للسلام :

« حججاً عن اللعنة »

أجل فالقذف يورث اللعنة التي تنصب على كل من يحاول أن يتهم
غيره ، أو ينسب لشخص آخر من المساويء ما ليس فيه .

(١٩) توك السرقة :

وهل ترك السرقة إلا لكي يعيش الناس في أمان وهدوء : شاعرين
بكرامتهم وعدم اعتداء أي فرد على حقوقهم ؟ !
وهل هذا كله إلا العفة ؟ !
العفة عن الطمع في أموال الآخرين : : والعفة عن التجاوز على
حقوق الناس : : والعفة عن الاعتداء على الغير :

(٢٠) حرمة الشرك :

وإذ أتت الزهراء عليها السلام على ذكر للشرك وحرمة قال :
« وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية »
ومن الواضح أن أساس الإيمان يقوم على التوحيد ، والاذعان للمخالق
الذي خلق الكون وما فيه ، ونظّم هذا العالم والعوالم الأخرى التي لا نشهدها
ولا نعلم بها تنظيماً دقيقاً لا مجال لأعوجاج فيه :
الإيمان بالله يستلزم توحيده وعدم الشرك به ، فان الله « لا يغفر
أن يُشرك به ، ويغفر دون ذلك » :

خاتمة الجولة :

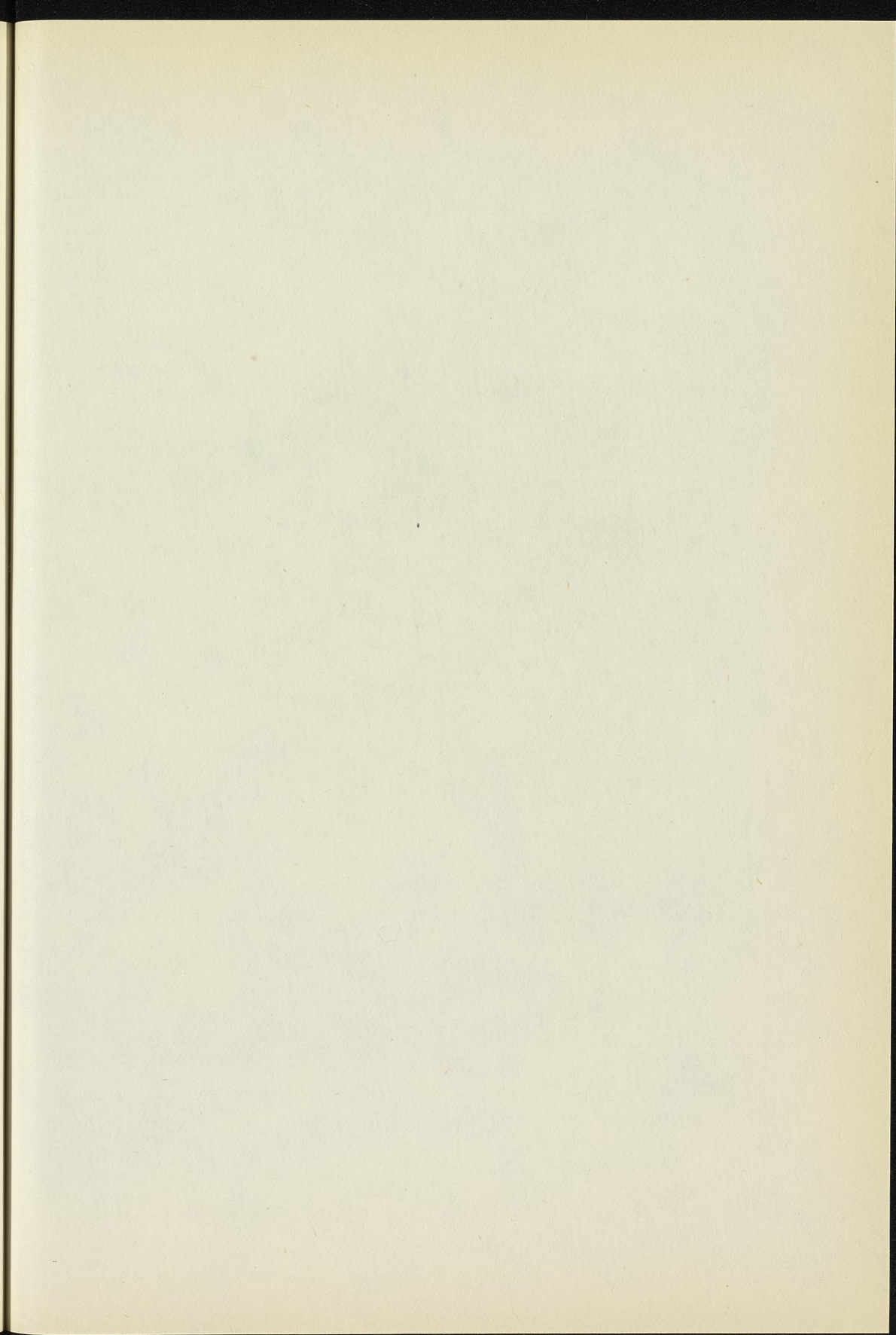
بعد هذه الجولة التي وقفنا فيها وقفات قصيرة عند كل زاوية من
زوايا التشريع الاسلامي الواردة في هذه الخطبة ، لا أشك - قارئى الكريم -
أنك قد خرجت معي بنتيجة ساطعة هي أن الزهراء عليها السلام أدركت

حقيقة الموقف ، ووعت روح الشريعة ، وتفهمت أسس الاسلام ، مما
جهلها جديرة كل الجدارة بأن تكون أحد الخمسة الذين اذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأن تكون من ضمن العبرة التي تعتبر الثقل
الآخر الذي ينضم الى كتاب الله تعالى - الثقل الأكبر - ليكونا سوية
ودبعة رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته .

بَيْنَ عَكَّاهَيْنِ

١ - وفاة النبي

٢ - بعد النبي



وفاة النبي !

يطل العام الحادي عشر للهجرة ، ويكاد رسول الله - لتوه - أن
يتمهي من وضع الأسس والركائز الثابتة للشريعة الإسلامية التي كتب لها
الله الخلود والبقاء ، باعتبارها خاتمة للشرائع :
ولاهد للنفس للكبيرة من أن تعود الى بارئها راضية مطمئنة ، وقد
حققت أعظم تحول في تاريخ البشرية :
لا بد لها أن تفيض الى من عرفته بعمق ، ودعت اليه باخلاص ، وضحّت
في سبيل إعلاء كلمته بجد وثبات .
لا بد من يوم خط بالقلم !
والموت يُخط على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة .

* * *

خرج النبي صلى الله عليه وآله في آخر فجر من حياته الى الصلاة
فصلى بالمسلمين للعداة ، وكان هذا آخر عهدهم برؤية تلك الطلعة المحبوبة
وذلك للنور الإلهي .
لم تزل شمس السماء إلا وقد آذنت شمس الأرض بالمغيب من أفقها
الى الأفق الدائم :
وهاهو النبي مسجى بين أهله ينتدبون فيه حظهم ، والباب مغلق دون
للناس .

ما أعظمه من يوم على الأمة !
فقدوا فيه أعظم نعمة عرفتها الانسانية !

فقدوا العظمة والكمال :..

فقدوا المجد والعزة :..

فقدوا للنفس الكبيرة ، والروح العالية ، فأعظم بيومه يوماً ! وأعظم به فقيداً ..

ولقد أصبح مضرب المثل للمسلمين فيما بعد ، استشهدوا به كلما عظمت عليهم داهية ، أو نزلت بهم مصيبة ، فقالوا : « انه كيوم مات فيه رسول الله » :

* * *

البيت يضح بالبكاء والحويل ، والباب معلق على من فيه :
لقد فقدت الزهراء أباه العظيم ، وللرزء به جلال ، والمصاب فيه فادح :.. فحق لها أن تبكي وتعول في البكاء ، وتئن وتطيل في الأئين !
ولكن فكرة أخرى كانت تراودها ، وأحداناً مرعبة كانت تتجسد أمام ناظرها ، فتزيد في لوعتها وأينها ، وتضيف غصة الى غصتها ، وهما الى همها :

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين حضرته الوفاة دعا بأهله وعياله وأوصاهم بوصاياه ، ثم جذب فاطمة (ع) تحت رداءه وأسرَّ إليها بأشياء فأخذت تبكي ، ثم أسرَّ إليها بشيء ففرحت . ولما سئلت عن ذلك ، قالت : أسرَّ الي في الأول بالمصائب التي ستجري علينا - أهل البيت - بعد وفاته فتألمت كثيراً ، فلما رأى ذلك بشرني بأني سريعة اللحاق به :

رحمك اللهم !

أأنت أنت الذي تغضب لغضب فاطمة ، وترضى لرضاها ؟
ويهون عليك أيتها الزهراء ، يابضعة النبي ، أنك سريعة اللحاق
بوالدك العظيم :

سمع المسلمون الواعية من بيت رسول الله ، فخرجوا يجتمعون في المسجد والطرقات وقد أخذت المصيبة بمجامع قلوبهم ، ناكسين رؤوسهم ، قد شرد منهم اللب ، وطاش للفكر .: لا يعرفون ما يفعلون فأصبحوا كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية :

وما عساهم يفعلون ، والأبناء يجب أن تخرج إليهم من داخل الدار في حين أن علياً عليه السلام مشغول بتجهيز النبي : وهل بعد هذا كله ما يشكك في موت النبي؟! :

بلى ، أبي عمر بن الخطاب على الناس تصديقهم بموت نبيهم ، فأخذ يصرخ في وجوه المسلمين ويهددهم ويتوعددهم : راح يهتف بهم : « مامات رسول الله ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله ، ولم يجمعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، ممن أرفف بموته : لا أسمع رجلا يقول : مات رسول الله إلا ضربته بسيفي » :

لقد كانت الدعوة صارمة ، وثائرة .: استعمل فيها الخطيب (عمر بن الخطاب) أقصى درجات الصرامة ، وأشد المغريات الخلافة للجماعات : فمن أمل بحياة الرسول وبإظهار دينه على الدين كله ، الى توعيد بقطع رسول الله أيدي وأرجل المرجفين بموته ، وتهديد من عمر بقتل من يقول : مات رسول الله :

لأنها الخوف والأمل ، اذا اجتمعا مع هذا الرأي القاطع ، والارادة للصارمة كان لها التأثير العظيم على أفكار الجماعة وتخدير أعصابها :

* * *

وبحكم حبّ المسلمين لنبيهم العظيم ، وعدم رضاهم بموته ، جاءت الدعوة شديدة التأثير في نفوسهم ، فلم يعترض أحد على عمر بن الخطاب قوله ، وساد الجميع اعتقاد بعدم موت النبي (ص) .

عاش المسلمون ساعات ملؤها الذهول والخيرة ، بمنعهم التصديق بموت النبي (ص) هذه الأمور التي أسلفنا ، الى أن حضر (أبو بكر) من السنح -- عالية من عوالي المدينة تبعد عنها بأربعة أميال أو ثلاثة - ولم يكذب يسمع بالدعوى حتى يدخل الى بيت النبي ويكشف عن وجهه النير ليتحقق موته ، ثم يخرج الى الناس .

وبينا عمر مستمر في الجلف على أن رسول الله لم يموت ، طلب اليه أبو بكر أن يجلس ، فلم يجلس ، وكرر عليه ذلك ثلاث مرات ، فلم يستجب لأمره ، فقال :

- أيها الخالف على رسلك :

ولم تفد هذه المحاولات في رد عمر عما هو فيه ، فقام أبو بكر خطيباً في ناحية أخرى وقد اجتمع الناس حوله فقال :

- من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم » :

عندئذ اعتقد المسلمون بالحقيقة وجأهوا للواقع وجهاً لوجه . . وحتى عمر نفسه فقد صعق الى الأرض ، وصدق بموت النبي بعد أن تحقق أن الآية من القرآن - كما يقول - :

* * *

ولا أتصور أن أيسر الأفراد ادراكاً يقنع بتفسير هذه الاحداث تفسيراً ساذجاً :

كلا !

ومن أين عرف أن النبي (ص) لا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله ؟

وهل أخبره رسول الله بأنه سيخرج ويقطع أيدي وأرجل من قال

بموته ؟ !

وما يدرينا ، لعلّ قيامه بقتل الدعوة الثائرة للصارمة ، كان هدافع
من غياب أبي بكر عن المدينة ، وأنه لعلمه ذلك استطاع السيطرة على
على الموقف ساعات كي لا تنصرف الخلافة الى علي عليه السلام - ما دام
رسول الله حياً !!! - وما أن حضر أبو بكر من السنح حتى صدق بموت
محمد : : : وعند ذلك أخذنا يخططان للخلافة وتصييرها الى أبي بكر !!

بعد النبي

تتوالى الأحداث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويحدثك
للتاريخ بالعجب العجاب : . . .

يروى لك قصة (الردّة) التي شملت للغالبية العظمى من المسلمين حين
راحوا بصرفون الخلافة عن صاحبها الشرعي ، الذي أكد الرسول الأعظم
صلى الله عليه وآله على خلافته وولايته شؤون المسلمين بعده . . . ذلك
هو علي بن أبي طالب عليه السلام .

ويروي لك منازعة فاطمة في حقها من (فذك) :

ويقص عليك قيادة علي عليه السلام بهجامة الى الجامع ليبايع أبابكر .

ويحدثك لك عن اضرام النار على دار فاطمة : . . .

وينبئك بكل شيء من هذا القبيل ، وأنت واجم ذاهل اللب ،

لا تدري أحلم ما تسمعه أم حقيقة !

ألم يقل رسول الله (ص) في علي : هذا وصيي وخليفتي فيكم ،

وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ؟ !

ألم يرفعه على ذراعيه يوم الغدير ويقول : من كنت مولاه فهذا علي

مولاه ؟ !

ألم يسمعوا قوله (ص) في فاطمة : فاطمة بضعة مني ، من أذاها

فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله .

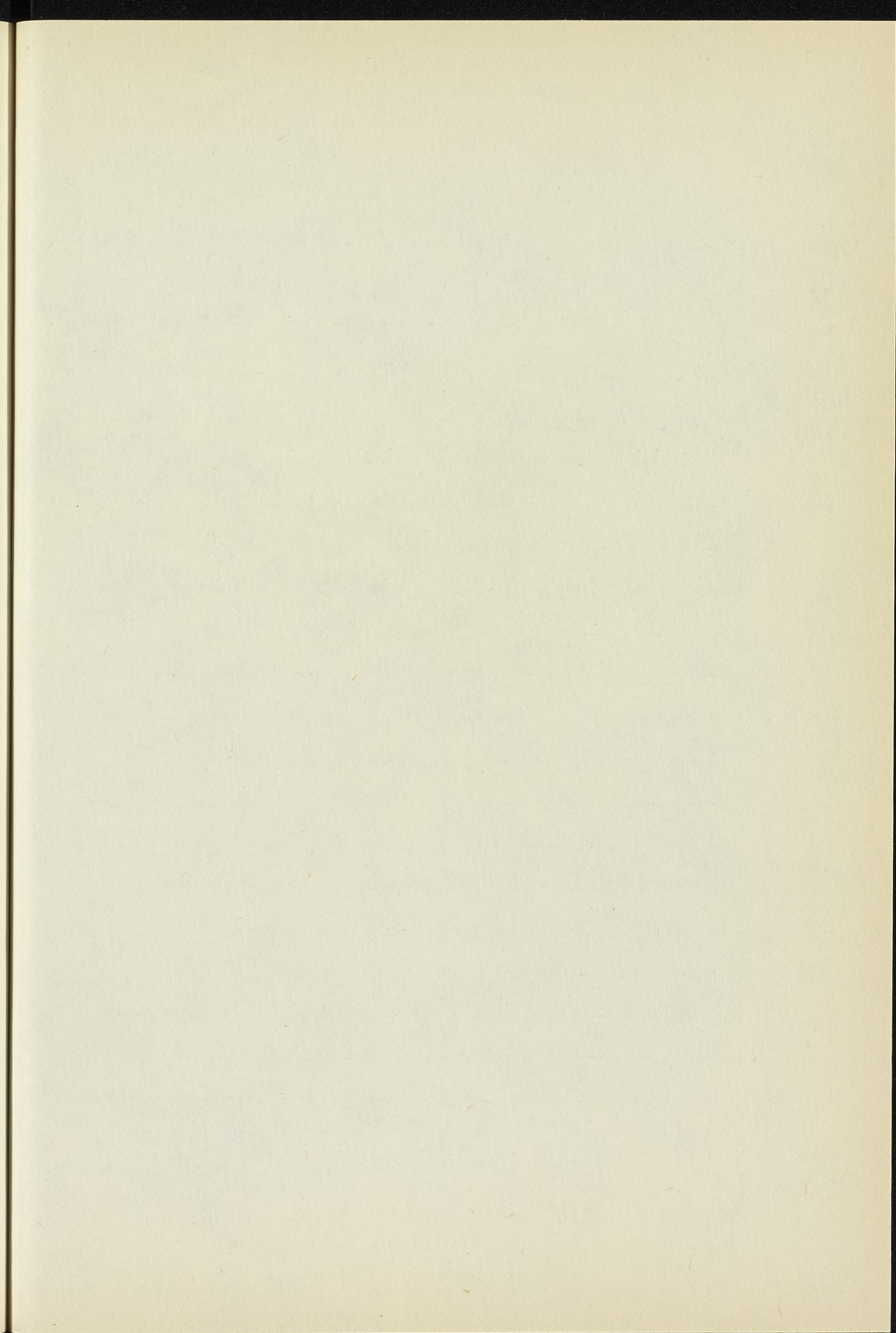
ألم يقل فيها : إن الله يرضى لرضى فاطمة ، وبغضب لغضبها ؟ !

ألم تنزل فيهما وولديهما آيات وآيات . . . فن آية التطهير ، الى

المباهلة ، الى آيات الأبرار ، الى آية المودة في القربى ؟
أو يكون لهم حق الاجتهاد في مقابل هذه للكثرة الكاثرة من النصوص
المتواترة . . .

* * *

تفيض روح محمد (ص) إلى بارئها ، فتشهد فاطمة عليها السلام
السماء غير السماء ، والأرض غير الأرض ، والأناس غير الأناس . . .
ويحق لها بعد ذلك أن تعطف الى قبر والدها للعظيم وتقول :
قد كان بعدك أبناء وهنئة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم وقد نكبوا
وكل أهل له قربي ومنزلة عند الإله على الأدين مقرب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت وحالت دونك للرب
تجهمتنا رجال واستخف بنا لما فقدت ، وكل الأرض مغتصب
وكنت نوراً ، وبدراً يستضاء به عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونك للرب
لقد رزينا بما لم يرز ذو شجن من البرية لا عجم ولا عرب
ولعمري أنها فترة جد قصيرة بين وفاة النبي وبضعته ، لانتجاوز على
أكثر التقادير للتسعين يوماً . ولكنها كانت فترة ثقيلة على الزهراء جداً .
رفعت لواء المعارضة بادية ذي بدء ، ونجحت بعض الشيء في
مهمتها . . . ولكنها ذوت تدريجياً ، لأن المرأة ربحانة وليست قهرمانة . . .
ولم تكن معارضتها - إذ عارضت - عبثاً أو اندفاعاً وراء عاطفة . . .
ولما شهدت الحق يسحق بالأقدام ، فراحت تبذل كل جهدها لمناصرته
واعلاؤه على الملأ .



١- في المعترك

- ١ - وراء علي الى الجامع
- ٢ - اضرام النار
- ٣ - فدك
- ٤ - بيت الأحران

1. 1870
2. 1871
3. 1872
4. 1873

اضرار النار ! !

صورتان ترسمان على لوحة كئيبة حزينة لم تقدر الأيدي المتطاولة
أن تشوشهما : -

صورة : أضرمت فيها النار على دار فاطمة حتى يخرج علي عليه السلام
للبيعه ، فيقال لمن أمر بالإحراق : في الدار فاطمة .
فيقول : وإن !

* * *

وصورة أخرى : يرسمها النظام (أستاذ الجاحظ) وينقلها الشهرستاني
في (الملل والنحل) والصفدي في (اللوافي بالوفيات) والسيد حامد حسين
في (عبقات الأنوار) ، فيقول :
« نص النبي (ص) على أن الامام علي عليه السلام ، وعينه وعرفت
للصحابة ذلك ، ولكن كتبه عمر لأجل أبي بكر وان فاطمة ضربت يوم
البيعة حتى ألفت المحسن من بطنها » .
صورتان . . .

أجل صورتان كئيبتان ، أثبتتهما هنا دون تعليق !

فدك . . .

(١) موقعها :

يقول الحموي في موقعها : « قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل : ثلاثة » (١) .
والظاهر أنها كانت قرية يسكنها اليهود ، وقد أهوا الانضواء تحت راية الاسلام في بادىء الامر ، ولكنهم عندما وجدوا المسلمين احتلوا (خيبر) بقيادة القائد المظفر الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، رضخوا لحكم النبي صلى الله عليه وآله من دون قتال :

(٢) قيمتها المادية :

أ - مقتضى الرواية التي يذكرها الجوهري في (السقيفة وفدك) أنها كانت تقدر بـ (١٠٠٠٠٠٠ درهم) ، لأن الرواية تذكر أن عمر لما أجلى أهالي فدك الى الشام بعث اليهم من يقوم الأموال فقوموا أرض فدك ونخلها ، فأخذها عمر ، ودفع اليهم قيمة للنصف الذي لهم ، وكان مبلغ ذلك خمسين ألف درهم أعطاهم إياها من مال أتاه من العراق .
ب - ويقول الحموي عنها : « وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة » (٢) .

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ / ٢٣٨ :

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ / ٢٣٨ :

ج - يعبر عنها الحموي بقربة ، كما وجدنا في التعريف (١) :
د - يقدر ابن أبي الحديد المعتزلي بعض تخيلها بنخيل الكوفة في القرن
السادس الهجري (٢) .

هـ - تقسيم معاوية فداً أثلاثاً ، وإعطاؤه لكل من يزيد ، ومروان
وعمر بن عثمان ثلثاً ، يدل على أنها كانت ثروة ضخمة ، إذ كانت تصلح
لأن توزع على أمراء ثلاثة من أصحاب الثراء للعريض (٣) :

و - إن عمر منع أبا بكر من ترك فدك للزهاء لضعف المالية العامة
مع احتياجها للتقوية لما يتهدد الموقف من حروب الردة وثورات العصاة :
ومن الجلي أن أرضاً يُستعان بمواصلاتها على تعديل ميزانية الدولة وتقوية
مالياتها في ظروف حرجة كظرف الثورات والحروب الداخلية لا بد أنها
ذات نتاج عظيم (٤) :

يستخلص مما تقدم أن القيمة المادية لفدك لم تكن ضئيلة ، وإنما
كانت تدر وارداً كبيراً على صاحبها :

(٣) كيف انتقلت الى النبي (ص) :

لما كان الرعب الذي وقع في قلوب أهالي (فدك) من سقوط
(خيبر) بيد المسلمين هو الذي أدى الى خضوعهم للحكم الاسلامي ، ولم
يحصل ذلك بحرب أو غزوة ، فان الحكم في مثل ذلك أن تكون ملكاً
صرفاً للنبي صلى الله عليه وآله ، كما هو صريح قوله تعالى : « ما آفأ الله

(١) نفس المصدر السابق :

(٢) و (٣) و (٤) محمد باقر الصدر : فدك في التاريخ ص ٢٥ - ٢٦

المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف :

على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط
رساله على من يشاء والله على كل شيء قدير » (١) :

وهذا مالا مجال لنقاش فيه : .

إنما الاختلاف يظهر في أمر آخر هو مقدار ما تنازل به أهالي (فدك)

للنبي :

أ - ففقتى رواية محمد بن إسحاق عن الزهري أنهم صالحوا النبي

على النصف من فدك (٢)

ب - ويذكر أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري أن النبي صالحهم

عليها كلها (٣)

ويؤيد محمد بن إسحاق في روايته ، مالك بن أنس محدثاً عن عبد الله

بن أبي بكر بن عمرو بن حزم : ولكن يظهر هنا اختلاف آخر ، فيروي

مالك بن أنس أن عمر لما أجلاهم الى الشام عوضهم عن النصف الذي لهم

بمقدار من لابل وغيرها بينما يروي غيره أنه عوضهم عن نصفهم بمبلغ

(٥٠٠٠٠ درهم) .

ومهما يكن من أمر الاختلاف الذي غالباً ما يحصل في أمثال هذه

المسائل ، فإن للراجع أن للنبي صلى الله عليه وآله صالح أهالي فدك على

لنصف من نخيلها وأرضها واشترى عمر النصف الآخر من بيت المال عند

توليه الخلافة :

(١) سورة الحشر : ٦ .

(٢) أبو بكر الجوهري : السقيفة وفدك ، نقلا عن شرح نهج البلاغة

ج ١٦ / ٢١٠ .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج ١٦ / ٢١٠ ، دار احياء الكتب

١٩٦٢ م .

لقد رأينا أن اختلاف الرواة ينصب على مقدار ما تنازل به أهالي
(فذك) للنبي صلى الله عليه وآله ، أما أن فذك كانت للنبي بمقتضى الآية
للشريعة فذلك مالم ينكره أحد .

(٤) انتقالها الى فاطمة :

وإذا انتهينا من كون فذك خالصة للنبي صلى الله عليه وآله ،
وعدم كونها للمسلمين حتى تخضع لاجتهاد أحد من الصحابة - كائناً من
كان - ساغ لنا أن نسأل : وما فعل بها النبي ؟ !
الصحيح أنه نحلها الى فاطمة عليها السلام قبل وفاته ، أي أنه وهبها
لها فصارت ملكاً للزهراء بلا منازع .

وإذا كنا نؤمن بأن النبي صلى الله عليه وآله معصوم و (لا ينطق
عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (١) . . . وإذا عرفنا أن للفقهاء
يجمعون على أن (الناس مسلطون على أموالهم) فلا مجال لأن يعترض أحد
على سبب منح النبي فذكاً الى ابنته الصديقة الطاهرة :
أما كيف قلنا بأن فذكاً كانت نحلة من النبي الى فاطمة فسنلنا في
ذلك أمور :

الأول : قول الزهراء عليها السلام للإمام أمير المؤمنين : « هذا ابن
أبي قحافة يبتزني نحلة أبي » (٢) :
الثاني : قول الزهراء عليها السلام لأبي بكر : « إن فذك وهبها لي

(١) سورة النجم / ٣ :

(٢) أحمد بن علي الطبرسي : الاحتجاج ج ١ / ١٤٥ : مطبعة النعمان ،

للنجف الأشرف - ١٣٨٦ هـ .

رسول الله صلى الله عليه وآله « (١) وعصمتها تمنع من أن تكذب ، وأن
تطلب ما ليس لها :

الثالث : لقد ثبت في محله أن علياً عليه السلام معصوم : وعصمته
تمنع من أن يمكن زوجته من أن تطلب ما ليس لها .

الرابع : قول الامام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته الى عثمان بن
حنيف : « بلى ! كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمت للساء ، فشحت
عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين » (٢) ولو كانت
داخلة في تركة النبي (ص) لم يصح له للتعبير بأنها كانت في أيدي أهل
البيت ، نظراً لتعلق حقوق زوجات النبي بذلك :

الخامس : شهادة الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وأم أيمن بأن
رسول الله (ص) وهبها لفاطمة عندما طلب أبو بكر من الزهراء أن
تأتي بشاهد على ما تقول :

(٥) منع أبي بكر فاطمة فدكاً :

بعد أن فاضت روح النبي صلى الله عليه وآله الى الرفيق الأعلى ،
نشبت خلافات عظيمة بين المهاجرين والأنصار حول الخلافة ، وبدأ الأنصار
ذلك الخلاف بأن اجتمعوا في (سقيفة بني ساعدة) لترشيح سعد بن عبادة
للخلافة ، وعلم المهاجرون بذلك : . . . وهالهم الأمر . فتدخل عمر بن الخطاب
وأبو بكر ، وأبو عبيدة الجراح في النزاع كممثلين عن المهاجرين : . . . وبعد
مناوشات ومفاوضات وخطب وتهديدات من الطرفين ، تنازل الأنصار عما

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج ١٦ / ٢١٦ :

(٢) محمد عبده : شرح نهج البلاغة ج ٣ / ٧٩ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة :

كانوا يهدفون اليه فوافقوا على أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير ، فأجابهم عمر بأنه لا يلتقي قرنان في رأس واحد ، وطلب أن يكونوا هم الأمراء ، والأبصار للوزراء . . . وأخيراً غلب هؤلاء أولئك على أمرهم ، وتمت البيعة لأبي بكر .

كل هذا والنبي صلى الله عليه وآله مسجياً في داره ، وعلي عليه السلام مشغول بتجهيزه وتكفينه وللصلاة عليه . . .
ويخرج الامام أمير المؤمنين بعد ثلاثة أيام ، ليرى أن المؤامرة قد أحبكت خبوطها ، ودُبّرت على أتم ما يكون لنزع الخلافة عنه ، وإيكالها إلى غيره .

ويتسلم أبو بكر زمام الأمر ، ويبدأ حركاته الإصلاحية ، وفي مقدمة قائمة المشاريع التي كان يجب عليه تنفيذها ، منازعة فاطمة عليها السلام في أمر فذك ، وإرجاعها الى بيت مال المسلمين .
أما مبرراته في ذلك فهي :

- ١ - إن ذلك لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله ، بل كان للمسلمين .
 - ٢ - وعلى فرض أن فذكاً كانت للنبي صلى الله عليه وآله ، فإنه سمع النبي يقول : « نحن معاشر الأنبياء ، لا نورث » .
 - ٣ - رواية أبي هريرة عن النبي : « لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عيالي فهو صدقة » .
- هذه هي المبررات التي تذكر لقيام أبي بكر بانتزاع فذك من فاطمة عليها السلام ، وإذا ما عرضناها على طاولة المناقشة ، بموضوعية وأمانة تامتين ، ومعتدلين عن الرواسب الموجودة في أفكارنا تجاه القضية ، ومحاولين التهرب من اضمفاء هالة التقديس على المسلمين الأولين - الأمر الذي وقع فيه أكثر الباحثين فغشيت عيونهم عن إبصار نور الحق - نجد ما يلي :

١ - إن أبا بكر يدعى أن فدكاً لم تكن للنبي صلى الله عليه وآله بل كانت للمسلمين .

لقد وجدنا أن المؤرخين يجمعون على أن فدكاً كانت خالصة للنبي صلى الله عليه وآله . هذا مضافاً الى أن الآية للكرامة صريحة في ذلك : ومعه يكون كلام أبي بكر اجتهاداً في مقابل النص ، وهو باطل بالارباب .
٢ - أما أنه سمع للنبي (ص) يقول : « نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة » فيمكن أن يناقش بوجوه : -

أ - إنه خارج عن محل الكلام ، لأننا أثبتنا أن فدكاً كانت نحلة ، وهبها رسول الله (ص) لفاطمة (ع) وإذا كانت ملكاً لفاطمة فلا تكون إرثاً من النبي لها ليقال أن الانبياء لا يورثون .

ب - إن الراوي لها منحصر بأبي بكر ، فلم يروها أحد غيره : وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد المعتزلي : « المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الارث إلا أبو بكر وحده » (١) و ١ أن القرآن الكريم أثبت الارث لعموم الناس ، وجاء التصريح به في خصوص بعض الأنبياء ، فان هذا الخبر - وهو خبر واحد - لا يصلح لتخصيص الكتاب العزيز .

ج - على أن التدقيق في الدوافع الحقيقية لمنع فدك من فاطمة يكشف لنا عن أن المسألة لم تكن على هذا المستوى من البساطة ، وإنما كانت هناك عوامل سياسية تلعب دورها في هذا الصدد . وإلا فما الذي يمنع الخليفة او المسلمين قاطبة من أن يتنازلوا عن حقهم في فدك لإرضاء لبنت نبيهم ، وقد سمعوا أباهم يقول : « فاطمة بضعة مني ، من أحبها فقد أحبني » ومن أغضبها فقد أغضبني ؟ !

٣ - وأما رواية أبي هريرة فيكفيها اشتهاره بالوضع في الأحاديث ،

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ١٦ / ٢٢١ .

حتى أنه صرح نفسه بذلك ، وقد أغنانا الاستاذ المحقق الشيخ محمود أبو رية
في كتابه (شيخ المضيرة : أبو هريرة الدوسي) من تجشم عناء البرهنة على
كذب أبي هريرة وتزويره :
هذا مضافاً الى أن ابن الحديد يستغرب من هذه الرواية قائلاً : « وهذا
حديث غريب ، لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الارث إلا أبو بكر
وخده » (١)

(٦) دوافع منع فاطمة عن فدك : -

لواقع أن التاريخ الاسلامي يحتاج الى غربلة عنيفة ، فقد كتب طبقاً
لأهواء الحكام - شأنه في ذلك شأن التاريخ عند بقية الامم - وهذه غلطة
فظيحة ارتكبتها المؤرخون المسلمون حين راحوا يسجلون الاحداث من زاوية
الحكام لامن زاوية المحكومين .

ان البحث التاريخي الحر يفرض على صاحبه كثيراً من التجرد
والموضوعية : إن وظيفة المؤرخ لاتعدو وظيفة عدسة للتصوير يرسلها الجيل
الحاضر الى الأجيال السابقة لتعود عليه بصور ملتقطة من هنا وهناك محتفظة
بألوانها الأصلية من دون أن تلعب فيها للعدسة أو تغير شيئاً :

ولكن عكس ذلك هو الذي حدث : ولسنا الآن بصدد البرهنة على
ذلك من نماذج تاريخية معينة ، وإنما نريد أن نخلص من هذه المقدمة إلى
أن التجرد والموضوعية ضرورة حتمية في البحث التاريخي :

نأتي الى قضية معينة فنحاول أن نكاشف الأسباب الخفية التي أدت
الى وقوعها ، والعوامل اللاشعورية التي دفعت بأشخاص الرواية للظهور على

(١) المصادر السابق :

خشبة المسرح في الدور الذي ظهوروا فيه : وإذا استطعنا ذلك كنا قد أدينا
مهمتنا بنجاح :

(٧) اعلان المعارضة :

ومن صميم ما يتصل بحديثنا عن فذك أن نذكر خطبة للزهراء (ع)
في ذلك : : :

فقد روى عبد الله بن الحسن باسناده عن آبائه عليهم السلام ، انه
لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (ع) فدكا وبلغها ذلك ، لآت
نحارها على رأسها ، واشتملت بجلابها ، وأقبلت في لمة من حقدتها ونساء
قومها ، تطأ ذيوها ، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله (ص) حتى دخلت
على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت
دونها ملاءة ، فجلست ثم أنت أنتة أجهدش القوم لها بالبكاء : : :
فارتج المجلس ، ثم أمهلت هنيئة حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم
افتتحت للكلام بحمد الله والثناء عليه وللصلاة على رسوله ، فعاد القوم في
بكائهم ، فلما أمسكوا عادت في كلامها فقالت :

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدم ،
من عموم نعم ابتداها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتعام منن أولها ، جم
عن الاحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الأدراك
أمدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لانصالحا ، واستحمد الى الخلاق باجزاها
وثى بالندب على أمثالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
كلمة جعل الاخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها ، وأنار في التفكير
معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفتة ، ومن الأوهام

كيفية : ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة
امتثالها : كونها بقدرته ، وذراً بماشيته ، من غير حاجة منه الى تكوينها
ولا فائدة له في تصويرها ، إلا تثبيتها لحكمته ، وتليها على طاعته ، وإظهاراً
لقدرته ، تعبداً لبريته ، واعزازاً لدعوته : ثم جعل للثواب على طاعته ،
ووضع العقاب على معصيته ، زيادة لعبادته من نعمته وحياشة لهم الى جنته :
وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله ، اختاره قبل أن أرسله ، وسماه
قبل أن اجتمه ، واصطفاه قبل أن ابتمه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة
وبستر الأهلل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً من الله تعالى بما يلي
الأمر ، وإحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع الأمور .

ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمة على إتمام حكمه ، وانقاذاً لمقادير
حتمه ، فرأى الأمم فرقاً في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدة لأوثانها
منكرة لله مع عرفانها ، فأثار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها ،
وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الأبصار غمها ، وقام في الناس
بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبصرهم من العماية ، وهداهم الى الدين
القوم ، ودعاهم الى الطريق المستقيم .

ثم قبضه الله اليه قبض رافة واختيار ، ورغبة وإيثار فحمد (ص)
من تعب هذه الدار في راحة ، قد حفت بالملائكة الأبرار ، ورضوان
الرب الغفار ، ومجاورة الملك الجبار صلى الله على أبي ، نبيه وأمينه ، وخيرته
من الخلق وصفيه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

تم التفتت الى أهل المجلس ، وقالت :

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحمة دينه ووحيه ، وأمناء الله
على أنفسكم ، وبلغائه الى الأمم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه اليكم
وبقية استخلفها عليكم : كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور

الساطع ، والضياء اللامع ، بينة بصائره ، منكشفة سرائره ، منجلية ظواهره
 مغتبطة به أشياعه ، قائد إلى الرضوان أتباعه ، مؤد إلى النجاة استماعه :
 به تنال حجج الله المنورة ، وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المخدرة ، وبيناته
 الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه
 المكتوبة ، فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة : تنزيهاً لكم
 عن الكبر ، والزكاة : تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام : تثبيتاً
 للاخلاص ، والحج : تشييداً للدين ، والعدل : تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا :
 نظاماً للملة ، وامامتنا : أماناً للفرقة ، والجهاد : عزاً للاسلام ، والصبر :
 معونة على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف : مصلحة للعامة ، وبر
 الولدين : وقاية من السخط ، وصلة الأرحام : منساة في العمر ومنماه
 للعدد ، والقصاص : حثماً للدماء ، والوفاء بالندى : تعريضاً للمغفرة ، وتوفية
 المكاييل والموازين : تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر : تنزيهاً عن
 الرجس ، واجتناب القذف : حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة : إيجاباً
 بالعفة ، وحرم الله للشرك اخلاصاً له بالربوبية ، فاتقوا الله حق تقاته ،
 ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فانه
 إنما يخشى الله من عباده العلماء ،

ثم قالت :

أيها الناس ، اعلمو اني فاطمة ، وأبي محمد (ص) أقول عوداً وبدواً
 ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً . لقد جاءكم رسول من
 أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان
 تعزوه وتعرفوه ، تجدوه أبي دون نساءكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم ،
 ولنعم المعزى اليه صلى الله عليه وآله وسلم :

فيبلغ الرسالة ، صادعاً بالندارة ، مائلاً عن مدرجة المشركين ، ضارباً

ثبجهم ، آخذاً بأكظامهم ، داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ،
 يحف الأصنام ، وينكث الهام ، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر ، حتى تفرى
 الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعم الدين ، وخرست
 شقاشق الشياطين ، وطاح وشيظ النفاق ، وانحلت عقد الكفر والشقاق ،
 وفهتتم بكلمة الاخلاص في نفر من البياض الخماص ، وكنتم على شفا حفرة
 من النار ، مذقة الشارب ، ونهزة اللطامع ، وقبسة العجلان وموطىء الأقدام ،
 تشربون الطرق ، وتقتاتون القصد ، أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم
 الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله ،
 بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني بهم للرجال وذوiban العرب ، ومردة أهل
 الكتاب ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ، أو نجم قرن للشيطان ،
 أو فغرت فاغرة من المشركين ، قذف أخاه في لواتها ، فلا ينكفيء حتى
 يظأ جناحها بأخصه ، ويحمد لها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً
 في أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً
 مجدداً كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنتم على رفاهية من العيش
 وادعون فاكهون آمنون ، تبرصون هنا للدوائر ، وتثوكفون الأخبار ،
 وتنكصون عند النزال ، وتفرّون من القتال .

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ، وماوى أصفياؤه ، ظهر فيكم حسكة
 للنفاق ، وسمل جلابب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الأقلين ،
 وهادر فنيق المهطلين ، فخطر في عرصانكم ، واطلع الشيطان رأسه من
 مغرزه هاتفاً بكم ، فألقاكم لدعوته مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، ثم
 استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحشمكم فألقاكم غضاباً فوسمتم غير إبلسكم ،
 ووردتم غير مشرككم : : : هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح
 لما يندمل ، والرسول لما يُقبر إبتداراً زعمتم خوف الفتنة ، ألا في الفتنة

سقطوا وإن جهنم لحبطة بالكافرين .

فهيئات فيكم ، وكيف بكم ؟ وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم ،
أموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة ، وزواجه لائحة ،
وأوامره واضحة ، وقد خلفتموه وراء ظهوركم ، أرغبة عنه تريدون ؟ أم
بغيره تحكمون ؟ بنس للظالمين بدلاً ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ، ويسلس قيادها ، ثم أخذتم
تورون وقدتها ، وتهيجون جمرتها ، وتستجيبون لطائف الشيطان الغوي ،
ولإطفاء أنوار الدين الجلي ، وإهمال سنن النبي الصفي ، تشرهون جسواً في
ارتغاء ، وتمشون لأهله وولده في الحمرة والضراء ، وبصير منكم على حز
المدى ، ووخز السنان في الحشا ، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ،
أفحكم الجاهلية تبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ ! أفلا
تعلمون ؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته :

أيها المسلمون !

أأغلب على إرثي ؟ !

يا بن أبي قحافة ، أني كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد
جئت شيئاً فربياً :

أفعل عمدي تركتم كتاب الله ونبتتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول :
« وورث سليمان داود » وقال فيما اقتضى من خبر يحيى بن زكريا إذ قال :
« فهب لي من لذنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب » وقال : « وأولو
الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وقال : « يوصيكم الله في
أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » وقال : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين
والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين » وزعمتم : أن لا حظوة لي ولا إرث

من أبي ، ولا رحم بيننا ، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم تقولون :
إن أهل ملتين لا يتوارثان ؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟ أم
أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟
فدولكمها مخطومة مرحولة ، تلتقك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ،
والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم
إذ تندمون ، ولكل نبأ مستقر : . . وسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب عظيم :

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار ، فقالت :

يا معشر النقيبة وأعضاء الملة ، وحضنة الاسلام ! ما هذه الغميمة
في حقي ، والسنة عن ظلامي ؟ أما كان رسول الله (ص) أبي يقول :
« المرءُ يُحفظ في ولده » ؟ !
سرعان ما أهدتكم ، وعجلان ذا إهالة ، ولكم طاقة بما أحاول
وقوة على ما أطلب وأزاول :

أقولون : مات محمد (ص) ؟ فخطب " جليل " استوسع وهنه ،
واستهنر فتقه ، وانفق رتقه ، واطلمت الأرض لغيبته ، وكسفت الشمس
والقمر ، وانتثرت النجوم لمصيبته ، وأكدت الآمال ، وخشعت الجبال ،
واضيع الحريم ، وأزابت الحرمه عند مماته : فتلك والله النازلة الكبرى ،
والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة ، أعلن بها كتاب الله
جل ثناؤه ، في أفئيتكم ، وفي مُمساكم ومصبيحكم ، يهتف في أفئيتكم هتافاً
وصراخاً وتلاوةً وألحاناً ، ولقبه ما حلّ بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل ،
وقضاء حتم : . . .

« وما محمد الا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزى

الله للساكرين :

أيها بني قبيلة !

أ أهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع ، ومنتسدي ومجمع ؟ !
تلبسكم الدعوة ، ونشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدد ، والأداة
والقوة ، وعندكم السلاح والجنونة ، توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة
فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنسخة
التي انتخبتم ، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت . قتلتكم العرب ، وتحملتم
السكد واللتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم البهيم ، لا تبرح أو تبرحون ،
نأمركم فتأتمرون ، حتى إذا دارت بنا رحي الاسلام ، ودرّ حلب الأيام ،
وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، وخذت نيران السكفر ،
وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام للدين ، فأني حزتم بعد البيان ؟
وأسررتكم بعد الاعلان ؟ ونكصتم بعد الاقدام ؟ وأشركتم بعد الإيمان ؟
بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وهموا باخراج الرسول ، وهم
بداؤكم أول مرة ، أنخسونهم فالله أحق أن نخشوه إن كنتم مؤمنين .

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم الى الخفض ، وأهدتم من هو أحق
بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة ، ونجوتهم بالضيق من السعة ، فمجمتم
ما دعيتم ووسعتم الذي تسوعتم ، فان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً ،
فان الله لغني حميد :

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجدلة التي خامرتكم ،
والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ وخور
للقناة ، وثبة للصدر ، وتقدمة الحجية ، فدولكموها فاحتقبوها دبيرة للظهر ،
نقبة الخف ، باقية للعار ، موسومة بغضب الجبار ، وشار الأبد ، موصولة

بنار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، فبهين الله ما تفعلون ، وسيعلم
للذين ظلموا أي منقلب ينقلبون : وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شهيد
فاعملوا انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ، (١) :

* * *

هذا هو إعلان المعارضة بتمامه ، نقلته هنا على طوله ، لأن كثيراً
من الباحثين نقلوا نفاً منه ، وأسقطوا مواضع جديدة بالاثبات :
ومن خلالاه يتبين أن المسألة - كما أسلفنا - لم تكن مسألة فذك ،
ولما كانت ترمي الى أوسع من ذلك المجال الضيق الذي شاء بعض الكتّاب
أن يزجها فيه . : : لأنها مسألة الخلافة التي تمس الدستور الاسلامي بالصميم
وتشغل أبرز المواقع من المسألة الاسلامية المعاشة آنذاك :

(٨) وبعد ذلك :

يظهر من بعض الروايات أن الصديقة الزهراء نجحت بعض الشيء
في استنكارها وإعلانها المعارضة ، فألجأت الخليفة الى أن يسأها فذكاً ،
وكاد الأمر يتم لولا أن دخل عمر ، وقال له : ما هذا ؟
فقال : كتاب كتبه لفاطمة بميراثها من أبيها .

فقال : لماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك للعرب كما ترى ؟ !
ثم أخذ الكتاب فشقه (٢) :

وهكذا نفهم أن (فذكاً) أصبحت من مصادر المالية العامة للمسلمين على
عهد أبي بكر ، أما بعد ذلك فيمكننا تتبع سلسلتها التاريخية بالصورة التالية :

(١) أحمد بن علي الطبرسي : الاحتجاج ، ج ١ / ١٣٣ - ١٤١ ، مطبعة

النهجان للنجف الاشرف - ١٣٨٦ هـ :

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ / ٣٩١ :

في عهد عمر : دفع فدكاً الى ورثة رسول الله (ص) :

في عهد عثمان: أقطعها مروان بن الحكم .

في عهد أمير المؤمنين علي : انتزعها من مروان تبعاً لسياسته التي تبناها في ردّ قطائع عثمان الى أصحابها . والرأي الراجح أنه كان ينفق غلاتها في مصالح المسلمين برضى منه ومن أولاده عليهم الصلاة والسلام (١) .

في عهد معاوية : أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وعمر بن عثمان ثلثها
وزيد - ابنه - ثلثها الآخر :

في عهد مروان بن الحكم : خلصت كلها له ثم وهبها لابنه عبد العزيز
في عهد عبد العزيز : كانت بيده :

في عهد عمر بن عبد العزيز : ورثها هو واخوته ، فاشتري حصصهم
منها ، فلما خلصت له ردها على وُلد فاطمة .

في عهد يزيد بن عبد الملك : انتزعها من أولاد فاطمة فصارت في
أيدي بني مروان حتى انقرضت الخلافة الأموية :

في عهد أبي العباس السفاح : ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن
ابن علي بن أبي طالب (ع) .

في عهد المنصور : قبضها من بني الحسن :

في عهد المهدي : ردها على الفاطميين .

في عهد موسى الهادي : قبضها من أيديهم ، وبقيت في أيدي العباسيين
حتى خلافة المأمون :

في عهد المأمون : ردها على الفاطميين سنة (٢١٠) : وبهذه
المناسبة أنشأ دعبل الخزاعي قصيدته المشهورة التي مطلعها :

(١) محمد باقر الصدر : فدك في التاريخ ص ٢١ ، المطبعة الحيدرية ،

النجف الأشرف - ١٣٧٤ هـج .

أصبح وجه الزمان قد ضحكنا بردّ مأمون هاشم فدكا
في عهد المتوكل : انتزعها من الفاطميين وأقطعها عبد الله بن عمر
البازيار وكان من ضمنها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله (ص) بيده
الكريمة فوجه عبد الله بن عمر البازيار رجلا يقال له : بشران بن أبي أمية
للثقفى الى المدينة فصرم تلك للنخيل ، ثم عاد ففُلقج .
وعند هذا الحد ينتهي تاريخ فدك : : .

بيت الاحزان

حين تخفق المعارضة السياسية تتحول الى مظاهرة صامتة ، وهذه الاخيرة قد تكون أبلغ تأثيراً من الاولى ، لأن فيها بالاضافة الى اللنكاية والاستنكار حفاظاً على الاستقرار والهدوء .

كذلك فعلت للزهراء عليها السلام حين رأت كل الذي رأت ، فلم يكن منها - وقد نحل جسمها ، وانهدر كنها ، واطلمت للدنيا في عينيها - إلا أن تلجأ الى بيت في البقيع عند قبور الشهداء تبكي أباه ، وتشكو له ماجرى عليها بعده .

كانت تذهب الى قبر والدها العظيم أحياناً ، وتتناول قبضة من تربته وتشمها ثم تجھش بالبكاء وتقول :

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليها
صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

* * *

وخرجت مرة الى قبر أبيها ، وهي تعثر في أذيالها ، ولا تبصر شيئاً من عبرتها ، حتى دنت من القبر الشريف ، فأغشى عليها : فتبادرت للنساء ليها ونضحن الماء عليها حتى أفادت فأخذت تقول : أبتاه ، رفعت قوتي وخانني جلدي ، وشمّت بي عدوى ، والكمد قاتلي :

أبتاه !

منبرك به - مدك موحش ، ومحرابك خال من مناجاتك ، وقبرك فرح بمواراتك ، فوا أسفاه عليك إلى أن أقدم عليك :

يقول المحدث : -

ثم زفرت ، وأنت أنة كادت روحها أن تخرج .

* * *

ثم رجعت الى منزلها وأخذت بالبكاء والعيول ليلها ونهارها ، وهي لا ترقأ لها دمة ، ولا تهدأ لها زفرة ، فاجتمع شيوخ أهل المدينة ، وأقبلوا الى الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقالوا : -

يا أبا الحسن ، ان فاطمة تبكي الليل والنهار ، فلا أحد منا يهنأ بالنوم في الليل ، ولانا نطلب منك أن تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً . فقال عليه السلام : حباً وكرامة .

أقبل الامام الى الزهراء عليها السلام وهي مجهشة بالبكاء ، فلما رآته سكنت هنيئة ، فقال لها :

يا بنت رسول الله ، ان شيوخ المدينة يسألون أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً .

فقالت : يا أبا الحسن ، ما أقل مكوثي بينهم ، وما أقرب مغيبتي من بين أظهرهم ، فو الله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً ، أو ألحق بأبي رسول الله .

وإذ رأى الامام عليه السلام ذلك بنى لها بيتاً في البقيع ، سمي : (بيت الاحزان) . فكانت إذا أصبحت قدمت الحسنين أمامها وخرجت الى البقيع باكية ، فلا تزال بين القبور باكية حتى يقبل الليل فيذهب الامام عليه السلام خلفها ويأتي بها الى المنزل .

* * *

واشتاقت ذات مرة سماع صوت مؤذن أبيها - هلال - فبلغ ذلك بالالا وكان قد امتنع من الأذان بعد النبي (ص) فأخذ في الأذان . . .

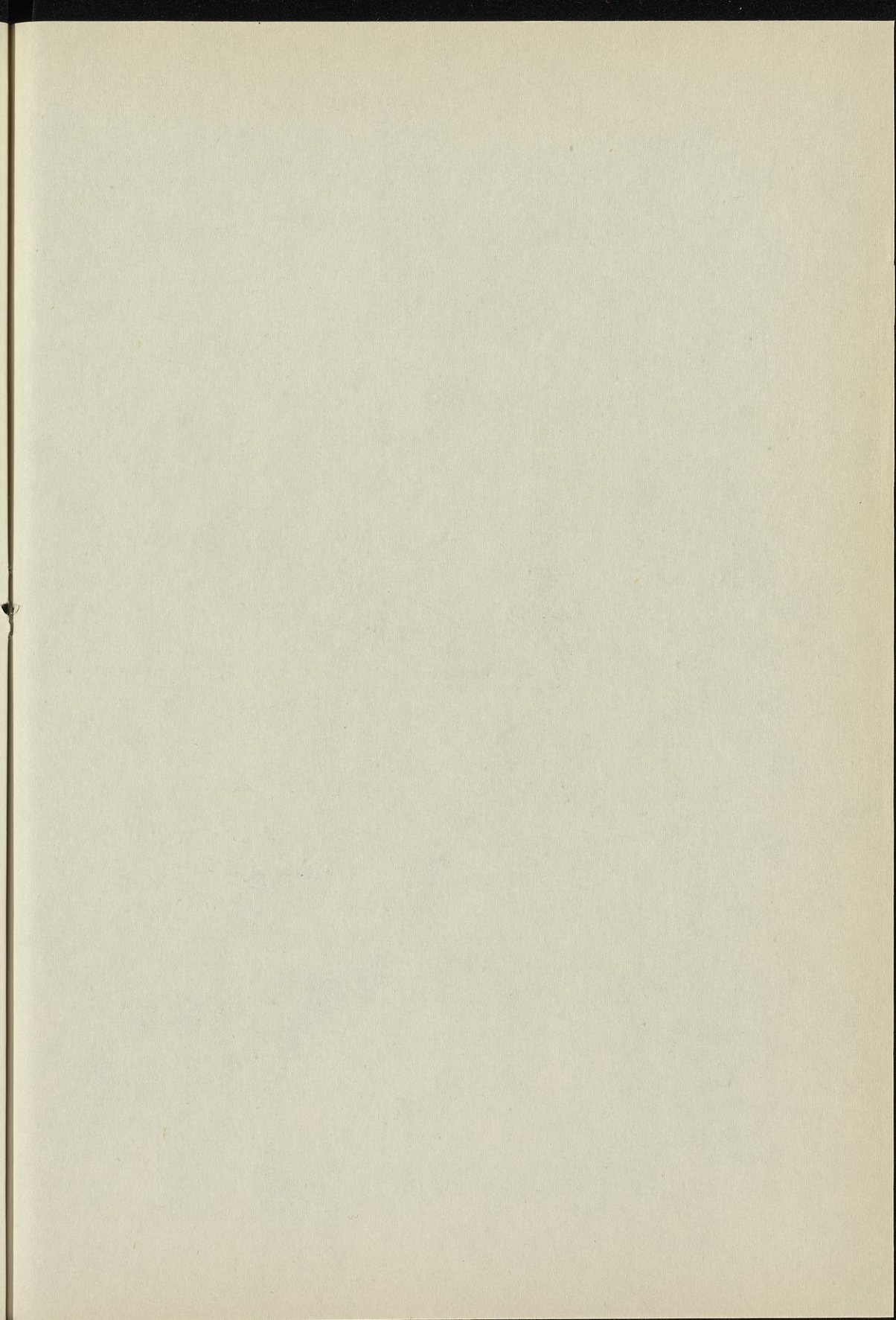
وما ان جلجل الصوت الجمهوري بكلمة : الله اكبر ، حتى ذكرت
فاطمة نداء بلال على عهد أبيها للعظيم فلم تتألك من البكاء :
وما ان بلغ قوله : أشهد أن محمداً رسول الله (ص) ، حتى شهقت
شهقة وسقطت بوجهها ، فأغمي عليها :
وقال الناس لبلال : أمسك يا بلال ، فقد فارقت ابنة رسول الله الدنيا
فقطع بلال أذانه ولم يتمه :
ولما أفاقت فاطمة (ع) سألته أن يتم من حيث قطع ... فأبى واعتذر
فأعفته عن ذلك .

* * *

ولئن سكنت فم المعارضة عن إعلان ما يجيش في ضمير فاطمة ، فقد
نطق فيها لسان الدموع !
ولسان الدموع أقرح للقلب ، وأدمى للعين ..

إِعْظَامَةٌ

- ١ - الفصن للذاوي
- ٢ - على فراش الموت
- ٣ - تشييع هاديء



الغصن الداوي

إنه عمر قصير ، قصر عمر الزهور الفواحة :
عمر قضته للزهراء وأوشكت على نهايته ، ولم يفتح - بعد - إلا
للنزر اليسير من أكامها !!

إن المآسي المتتالية والصدمات العنيفة التي واجهت الزهراء ، وهي لاتزال
في مقتبل شبابها ، تركتها مهيمضة الجناح ، طريحة الفراش ، تشكو ألماً من
ضلعها المكسور ، وتذكر ماجرى عليها وعلى زوجها الوفي الذي يمثل الركن
الهاديء الذي تأوي إليه كلما عرض لها ما يقلقها .
تتذكر اغتصابهم حقها :

وتتذكر تنحية زوجها عن منصبه الذي هو به أحق :
وتتذكر قيادتهم إياه بعامته إلى الجامع وهي تندب خلفه :
تتذكر كل ذلك فتنعكس أمام عينيها الغائرتين صورة مظلمة حالكة
فتحسر آهة من أعماق قلبها الذي صار يشواق لقاء ولدها العظيم ، وقد
بشرها بأنها سريعة الاحاق به :
بالجفاء :

إنها بضعة للنبي (ص) ، وبنته المفضلة ، التي أكد على رعاية حقها
مراراً :

والمرء يُحفظ في ولده !!
ولكن هذا كله لم يكن بالذي يمنع المتطاولين من أن يتناولوا عليها
ويردع الأيدي الآثمة من أن تمتد فتخنق هذه الزهرة الفواحة ولما يمض على

تفتحها زمن طويل !!
وهكذا ذوى العصن الذي خلفه للنبي في أمته ، وتناثرت زهوره ،
وذبلت أعواده ، وهبت شاحبة باهتة :

لك الله يا أم الحسن
وستقيدن على رب كريم ، وأب عظيم ، وستشكين له ماجرى
عليك بعده في مدة قصيرة جداً لاتتجاوز على أكثر التقادير التسعين يوماً !
ولتكن هذه نقطة سوداء فاحمة في سجل أمة محمد ، تنبئ الأجيال
عما كان : : : كلما امتدت الأيدي تتصفح ما سطر في ذلك للسجل :

على فراش الموت

لساعة للفراق الدائم لوعة في نفوس الأحبة يعرفها كل من لامس
هذه للعجربة :

إلها آخر فرصة للقاء يتزود الحبيب بحبيبه ، ثم يكون للقضاء المحتم ،
وفي مثل هذه الساعة يكون الانسان أحوج ما يكون الى الاستقرار
والهدوء ، في حين أن للكثيرين يجزعون ويعتقلقون : .

* * *

أما الزهراء عليها السلام فإنها وادعة مستقرة ، توصي الامام (ع)
بوصاياها ، فتطلب منه أن يدفنها ليلا ، ولا يعلم أحداً بذلك ، كما رجته
أن لا يسمح لمن آذاها وأسخطها بالصلاة عليها !

ها هي بنت محمد (ص) تفد على ربها راضية مطمئنة ، فتطلب من
(أسماء بنت عميس) أن تأتيها ببقية جنوظ والدها وتضعها عند رأسها
وتغتسل هي أحسن ما يكون من الغسل ، ثم تنسجى بثوب لها . . . عند
ذاك تطلب من (أسماء) أن تنتظرها هنيهة ثم تدعوها فان أجابت ، وإلا
فلتعلم أنها قدمت على ربها :

وتنتظرها (أسماء) هنيهة ثم تنادىها فلم تجب ، فتنادي :

يا بنت محمد المصطفى !

يا بنت أكرم من حملة للنساء !

يا بنت خير من وطأ الحصى !

يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى !

. . . ويسود للبيت سكون وهدوء ، فلا تسمع (أسماء) جواباً
لندائها : . فتكشف الثوب عن وجهها فاذا بها قد فارقت الدنيا ،

* * *

دخل الحسنان للبيت وقالوا : أين أمنا ؟
أمسكت (أسماء) عن الكلام :
فدخلوا الغرفة فاذا هي هائمة لا حراك لها ، عند ذلك توجه الحسين
عليه السلام الى أخيه فقال : آجرك الله في الوالدة !

* * *

كان الامام عليه السلام قد خرج وقتئذ الى الجامع لصلاة المغرب ،
فخرجوا وأخبروا بالكارثة . . .

وما أن سمع الامام بذلك حتى غشي عليه ، ولما أفاق أخذ يقول :
عن العزاء يا بنت محمد ؟
كنت بك أنعزى ، فقيم العزاء من بعدك ؟ !
ولقد سمع يقول :

اكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

* * *

وتجتمع نساء بني هاشم لتتلقى نبأ المصيبة تتجدد ، وللقرح يسيل . .
وتضج المدينة ضجعة واحدة للزهراء (ع) :
ويقبل الجميع لتعزية علي والحسين !! !
لكم الله يا أولاد الزهراء ، ولئن كان لكم هوفاة الأثب العظيم مصاب
فادح ، ورزءٌ جليل ، ففي مصابكم بأكم الطاهرة مالا يقل فداحة !
وصبراً على قضاء الرب الجليل ، ورضى لرضاه :

تشيع هادى

في ظلمة الليل البهيم ، حيث للعيون نائمة والأصوات هادئة خرج
موكب ملائكي من بيت علي عليه السلام ، يحمل وديعة رسول الله (ص)
الى مشاها الأخير :

وكان ذلك ليلة الثالث من جمادى الثانية عام ١١ للهجرة . . :

* * *

خرج الموكب الحزين مؤلفاً من عدة أشخاص يُعدّون بالأصابع :
ها هو علي :

والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم . . :

ومن خلفهم أبو ذر وعمار وسلمان ! !

أما أين كانت الألوف المؤلفة من المسلمين في المدينة . . . فذلك
مالم ترغب فيه الزهراء نفسها .

* * *

وينتهون بالنعش الى مكان بالبقيع ، ويوارون الزهراء . . . ثم

ينصرفون بسرعة كيلا يطلع على مكان القبر أحد !

وهكذا بأفل أول نجم من نجوم أهل البيت ، بعد أن أفل شمسهم

قبل ثلاثة أشهر . . .

* * *

وهذا يتوقف محدثي عن القول ، ثم يسألني :
ألا تعجبك هذه النهاية ؟ ! !
وبدلاً من أن أجيبه بشيء ، ألوذ بالصمت للقاتل ، ثم ألوذ له بيدي
كأنني أريد أن أقول له :
- وداعاً : : :

وداع . . .

سيدتي : بضعة النبي ،

أيتها الزهراء ،

يا أم الحسن ،

أنتهي عند هذا الحد من لقائي بك على هذه الصفحات ، ولم أتعد
للسفح ، وأنى لي ببلوغ حقيقة ما أنت عليه وقد أحلك الله القمة ؟ !
وأعود فأرفع (بطاقة الولاة) عند الوداع ، وقد خنقني للعبرة ،
واعلمت في صدري أنه عميقة ، لاشك أن للقارئ الكريم يعرف أسبابها
ويمنحني في ذلك الكثير من الحق !

مراجع الكتاب

- ١ - نهج البلاغة
- ٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
- ٣ - فذك في التاريخ : السيد محمد باقر الصدر
- ٤ - الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء : للسيد عهد الحسين شرف الدين
- ٥ - بحار الانوار : العلامة المجلسي
- ٦ - بيت الاحزان : الشيخ عباس القمي
- ٧ - فاطمة الزهراء والفاطميون : عباس محمود العقاد
- ٨ - للزهراء في التاريخ والسنة والأدب : السيد كاظم الكفائي
- ٩ - المعصومون الأربعة عشر : عبد المنعم الكاظمي
- ١٠ - السقيفة : الشيخ محمد رضا المظفر
- ١١ - المباهلة : الشيخ عبد الله السبيتي
- ١٢ - ناسخ للتواريخ : محمد نقوي سپهر
- ١٣ - الامالي : الشيخ الصدوق
- ١٤ - المراجعات : السيد عبد الحسين شرف الدين
- ١٥ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة : السيد مرتضى الفيروزآبادي
- ١٦ - كشف الغمة في معرفة الأئمة : الاربلي
- ١٧ - دلائل الامامة : الطبري
- ١٨ - بنابيع المودة : سليمان القندوزي

للمؤلف

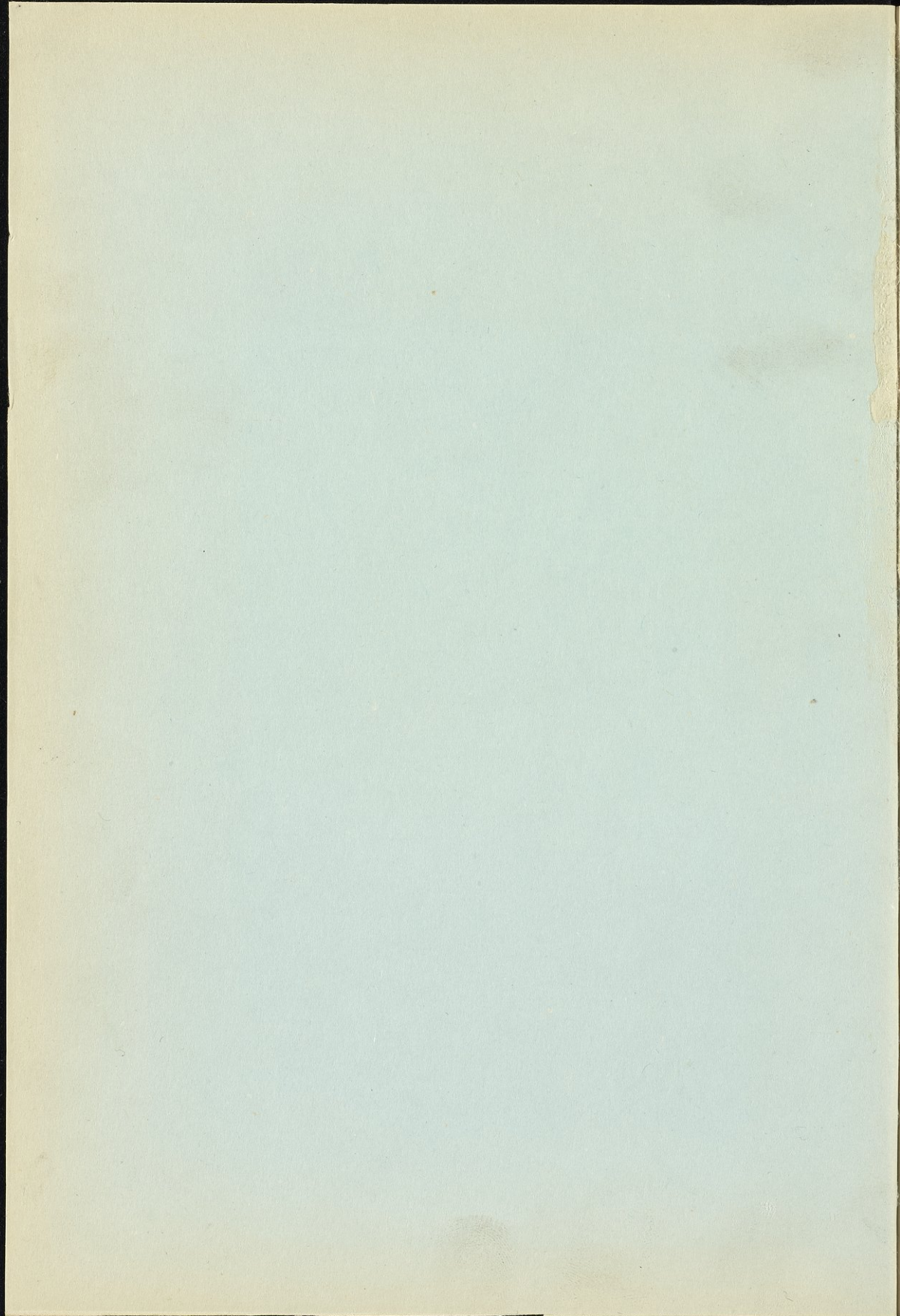
آثار مطبوعة :

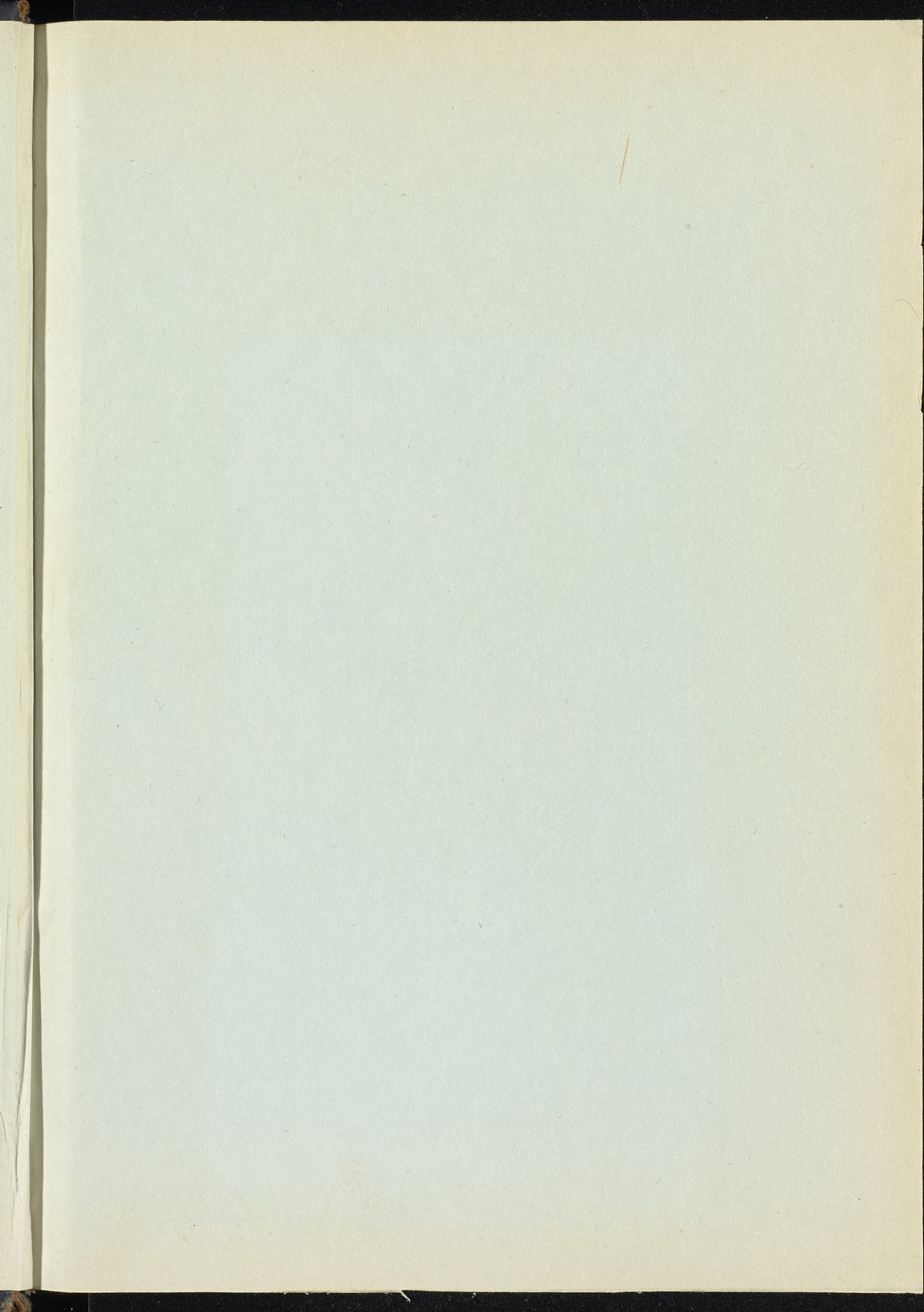
- ١ - دفاع عن العقيدة نفذ
٢ - سعيًا وراء السعادة نفذ
٣ - للطفل بين الوراثة والتربية ج ١
٤ - للطفل بين الوراثة والتربية ج ٢
٥ - فاطمة الزهراء أم أبيها

معدة للطبع :

- ١ - لحظة مع المنتظر
٢ - ترجمة عبقات الأنوار في ٢٠ جزء
بالاشتراك مع علي السيد نور الدين الميلاني
٣ - بحوث ومقالات

لقد قامت (مكتبة الصادق) في النجف الأشرف بـ نشر هذا
الكتاب ، كجزء من خدماتها الجليلة في عالم الثقافة والعلم والمعرفة .





BP
80
.F36
M53

NOV 12 1971

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU55311326

BP80.F36 M53

Fatimah al-Zahra umm

BP
80
F36
M53